مُنَاوَشَاتٌ بَرِيئَة

قَضَايَا وَطَنِيّة

مَقَالاَتٌ فِي الثّوْرَةِ وَالذّاكِرَة

بقلم: الطاهر اعمارة الأدغم

جسور للنشر والتوزيع

قَضَايَا وَطَنِيّة

مَقَالاَتٌ فِي الثَّوْرَةِ وَالذَّاكِرَة

مُنَاوَشَاتٌ بَرِيئَة

قَضَايَا وَطَنِيّة

مَقَالاَتٌ فِي الثَّوْرَةِ وَالذَّاكِرَة

بقلم:

الطاهر اعمارة الأدغم

جسور
للنشر والتوزيع

جسور للنشر والتوزيع

حي المندرين قطعة 69 محل رقم 04 – المحمدية – الجزائر

هاتف–فاكس: 213-023-75-01-62

الجوال: 0661-21-21-22

البريد الإلكتروني: joussour_edition@yahoo.fr

الموقع الالكتروني: www.joussourdz.com

الطبعة الأولى

1443هـ/2022م

عنوان الكتاب: **قَضَايَا وَطَنِيّة – مَقَالاَتٌ فِي الثَّوْرَة وَالذَّاكِرَة**

تأليف: **الطاهر اعمارة الأدغم**

الموضوع الرئيسي: **سياسي**

عدد الصفحات: **136 صفحة**

قياس الصفحة: **21X14.8**

جسور للنشر والتوزيع 2022©

ردمك: **978-9931-729-13-6**

الإيداع القانوني: **جويلية 2022**

جميع الحقوق محفوظة

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

إهداء

إِلَى الشَّهَدَاء...

وَالْمُجَاهِدِين...

وَالْمُصْلِحِين...

وَالْمُنَاضِلِين...

وكلّ مَنْ ساهَم في تحرير الجزائر

من براثن المحتّل الفرنسيّ الغاشم..

مُقَدِّمة

الحديثُ حول التّاريخ والذّاكرة ما زالَ يشغلُ قطاعًا واسعًا من أبناء الجزائر بمختلف توجّهاتهم السّياسيّة والفكريّة ومستوياتهم التّعليميّة والثّقافيّة.

وحتّى عندما تُبعِدُنا السّياسةُ اليوميّةُ، أو الموسميّة، عن قضايانا الحاسمة المتعلّقة بالذّاكرة والصّراع الدّائر حولها؛ سرعان ما تعودُ البوصلةُ إلى الاتّجاه الصّحيح عند أوّل خبرٍ أو تصريحٍ قادمٍ من الضّفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسّط، وتحديدا من نُخَبِ أو سياسيِّ البلدِ الذّي احتلّ بلادَنا 132 سنة متواصلة، وسَعَى خلالها بكلّ ما أُوتِيَ من قوّة لاجتثاث مقوّمات الثّقافة والانتماء الذّي نعيش بِهِ وَلَه.

وللأسف الشّديد... التّصريحاتُ المستفزّةُ، أو التّي تستكثرُ علينا تمسّكَنا بثقافتنا، لا تأتينا دائما من وراء البحار، فأحيانا يرمينا بها بَنُو جلدتنا ممّن يعيشون بين ظهرانينا ويتقاسمون معنا شَرْبةَ الماء وكِسْرَةَ الخبز..!!!

.....

خرج ذلك (الاستعمار) مُرْغَمًا بعد تضحيات كبيرة أبهرت العالَم، خاصّة خلال السّنوات الأخيرة حين كانت ثورةُ نوفمبر المجيدة تصنعُ العناوين الأولى والمانشيتات في وسائل الإعلام الإقليميّة والعالميّة، وتشغلُ حيّزًا من أحاديث النّاس في مجتمعاتٍ شقيقةٍ وصديقةٍ وقريبةٍ وبعيدة، وحتّى في تلك الدّول الحليفة للمستعمر، بل في فرنسا الاستعماريّة نفسها، وعلى طول مدنها وقراها وأريافها...

خرج المحتلُّ ومرّت السّنواتُ تلو السّنوات وظلّت قضايا الذّاكرة والتّاريخ تصنعُ الجدلَ من حين لآخر.

ويساهمُ في هذا الجدل ويغذّيه غيابُ قراراتٍ محوريّة تأخّرَ الحسمُ فيها عجزًا أو خوفًا أو قصدًا...؟؟؟

كما يغذّي هذا الجدلَ أيضا توازناتٌ سياسيّةٌ ظلّت تصنعُ ملامحَ المشروع السّياسيّ والمجتمعيّ العام.. وبالأحرى: تحافظُ على غيابِ هذا المشروع بشكله الواضح والقويّ والرّاسخ..

ومن المعلوم بالضّرورة عند عامّة أبناء الجزائر أنّ ثنائيّةَ القوّةِ والرّسوخِ تتحقّقُ حين يستندُ المشروعُ إلى مقوّماتِ الأمّةِ والحضارةِ والتّاريخِ الذّي ننتمي إليه.

.....

وفي هذه المقالات حاولتُ تسجيلَ شيءٍ في هذا السّياق. حين ظهرتْ هذه الكلمات على صفحاتِ جريدةِ (صوت الأحرار)...

والجريدةُ هي الصّوتُ غير المعلَنِ صراحةً لحزبِ جبهةِ التّحريرِ الوطنيِّ الحاكمِ في الجزائر، أو الأكثر تأثيرًا في دواليبِ الحكمِ منذ الاستقلالِ عن الاحتلالِ الفرنسيِّ عام 1962.

(صوتُ الأحرار) صوتٌ غيرُ معلنٍ للجبهة، لأنّ الجريدةَ لا تُعَرِّفُ نفسَها مع عنوانها في الصّفحةِ الأولى على أنّها (لسانُ حال...)، لكنّ هذا الأمرَ معروفٌ بين جمهورِ الصّحفيّين والسّياسيّين والمتابِعين.

وهذه المقالاتُ، وغيرها من مقالاتِ الزّملاءِ الكُتّاب، نُشِرَتْ في صفحةِ (اتّجاهات) على مدى أكثر من ستِّ سنواتٍ من الظّهورِ الأسبوعيِّ المنتظم...

في تلك الصّفحةِ تواترتْ (خَرْبَشَاتِي)، وكان عنوانُ مقالي الثّابت (مناوشات بريئة).

فالشّكرُ، كلّ الشّكر، للسيّد محمّد نذير بِلّقرون، الصّحفيّ والمدير، وإلى طاقمِ جريدةِ (صوت الأحرار)، هذا العنوانُ المقتبَسُ من النّضالِ الإعلاميِّ خلال سنواتِ الحركةِ الوطنيّةِ والإصلاحيّةِ التّي سبقتْ ثورةَ نوفمبر المجيدة 1954.

.....

المقالاتُ ظهرت بين أعوام 2008 و 2013.. وهي سنواتٌ، ضمن سنواتٍ أخرى، كانت مغشّاةً بالضّباب في أكثر من جانب وميدان ومجال، وإن كان العنوانُ العريضُ أو المانشيت المعلن رسميًّا يتحدّثُ عن حرّياتٍ سياسيّةٍ وإعلاميّةٍ واقتصاديّة...!!!

لكن.. كانَ وَرَاءَ الأَكَمَةِ مَا وَرَاءَهَا، كما يقولُ المثلُ العربيّ.

ولهذا كان القلمُ حذرًا وهو يكتبُ ويعبّرُ ويناقش، فالحساسّيةُ واضحةٌ في بعض القضايا، كما كانت الرّسائلُ شبه المشفّرة أحيانا هي السّبيل الأسلمُ والأحكمُ للتّعبير عن فكرةٍ أو إثارةِ تساؤلٍ هنا أو هناك.

والمقالاتُ كما هي.. لم أعدّلْ أيَّ شيءٍ فيها سوى الأخطاء المطبعيّة الطّفيفة وما شابه... حتّى لا أدّعي الحكمةَ بأثرٍ رجعيّ... لأنّ الأصلَ والصّدق: أن أكون أنا في تلك الفترة... وكلُّ فترةٍ لها نصيبُها من الوعيِ والنّضجِ والفهم والشّجاعة والجرأة.

ولا عيبَ إن أخطأ أحدُنا التّحليلَ أو التّقديرَ أو القراءةَ في مرحلةٍ ما.. ولا عيبَ إن ساندَ أو استحسنَ، في وقتٍ ما، أو اتّخذَ موقفًا يبدو له الآن مجانبًا للصّواب.. والعكس صحيح.

على العموم... هذه قِرَاءَاتِي ومُتَابَعَاتِي ومَشَاعِرِي وانْفِعَالاَتِي في تلك السّنوات.. وفي ثَنَايَا عَقْلِي وَقَلْبِي تَفَاؤُلٌ دَائِمٌ بالأفضلِ والأحسنِ والأجمل.

الطاهر بن اعمارة الأدغم

قرية هُبَّة، بلديّة الرّقيبة، ولاية الوادي، الجزائر

19 مارس 2022 م / 15 شعبان 1443هـ

قَرَارٌ مُتَأَخِّرٌ جِدًّا جِدّا

قبل ستّة وأربعين سنة (46) افتكّت الجزائرُ المجاهدة استقلالها من الاستعمار الفرنسيّ الغاشم بكلّ جدارة واستحقاق، وهذه المدّة التّي تقارب نصف قرن من الزّمان كانت كافيةً لتغيّير معالم كثيرة في هذا العالَم الذّي تحوّل بفعل التقدّم العلميّ والتّقنيّ إلى قرية واحدة.

فبعد استقلال الجزائر اشتدَّت الحربُ الباردةُ بين المعسكريْن الشّرقيّ والغربيّ ثمّ انتهت بسقوط الاتّحاد السّوفيتيّ في بداية العقد الأخير من القرن العشرين، وفي الفترة نفسها خاضت بعض دول العالَم العربّي عدّة حروب مع دولة الكيان الصّهيونيّ، وفي الوقت ذاته تحوّلت القضيّةُ الفلسطينيّةُ من قضيّة عربيّة إلى قضيّة فلسطينيّة، ثمّ حاولت نخبةٌ بعينها اختصارَها في اتّفاقيّات أُوسْلُو ودولةٍ موعودةٍ ما زال البعضُ ينتظرُ "كَرَمَ" إسرائيل بالموافقة عليها.

وفي هذه الفترة تقدّمت دولُ أوروبا بخطوات مدروسة بدقّة نحو التّقارب والاتّحاد حتّى وصلت إلى درجة عالية من التّنسيق والتّفاهم وحماية المصالح المشتركة، واستطاعت أن توّحد عُمْلاَتِهَا المختلفة، فظهرت على شكل هذا "اليُورو العجيب" الذّي يسعى باستمرار إلى توسيع الفارق بينه وبين الدّولار.

وفي هذه الفترة قفزَ العِلْمُ والتّكنولوجيا قفزاتٍ كبيرة جدًّا غيّرت كثيرا من أنماط حياة النّاس وتفكيرهم، ودخلت الانترنت والفضائيّات إلى كلّ بيت ليصير عصرُنا بحقٍّ عصر المعلومات حين أصبحت مُلْكًا مُشَاعًا للجميع، فبكتابة كلمة على محرّك بحث في

الانترنت ثمّ الضّغط على زرّ واحد تتهاطلُ عليك آلافُ الصّفحات حول هذه الكلمة أو ذلك الموضوع..!

وفي السّنوات الأخيرة من هذه الفترة بدأت أمريكا ومن شَايَعَهَا حربًا شعواء على عدوّ مجهول الهويّة والمكان والعدد هو الإرهاب، ورفضت كلّ محاولات تعريفه بدقّة، وبالتّزامن مع ذلك حرصت على رفع "قميص عثمان" الذّي يمثّلُ عندها هجمات سبتمبر في نيويورك وواشنطن، ومن خلال هذا القميص بادرت، على مرأى من الجميع، إلى صفعِ وحصارِ كلِّ من لا يسيرُ وفق مصالحها، وما تمليه ضرورات العولمة الاقتصاديّة والثّقافية.

حدث كلُّ ذلك وغيره مما يضيقُ المقامُ عن تفصيله...

لكنّنا في الجزائر...

وفي وزارة المجاهدين، تحديدا، كنّا نراوحُ مكاننا...!

ونطبّقُ حركةً رياضيّةً واحدةً هي "مَحَلَّك سِرْ"..!!

فهذه الوزارةُ نشأت بعد الاستقلال مباشرةً لرعاية شؤون المجاهدين الأبطال الذّين حرّروا البلاد من الاستعمار البغيض،

والسّهر على راحة أسر الشّهداء الذّين ضحّوا بالغالي والنّفيس من أجل الوطن.

وقد صار من "المعلوم من التّاريخ بالضّرورة" أنّ ثورتنا التحّريريّة لم تكن أُمِّيَّةً لا تكتب ولا تقرأ، وإنّما كانت تملكُ إداراتٍ وسجلاتٍ ومكاتبَ في الدّاخل والخارج، وتشكيلات عسكريّة واضحة خاصّة في السّنوات الأخيرة للثّورة، وحتّى شبكات الدّعم وجمع الأموال وتعبئة الجماهير كانت معروفةً لدى القيادات المحليّة للثّورة.

وبناء على ما سبق فإنّ سنواتٍ محدودةً قد لا تتجاوزُ عدد أصابع اليد الواحدة كانت كفيلةً بإغلاق كلّ الملفّات العالقة في وزارة المجاهدين، لا أن يأتي وزيرُ المجاهدين عام 2008 ليعلن التّوقفَ عن استقبال ملفّات المجاهدين الجدد..؟

وهو ما يعني أنّ عمليات تسجيل المجاهدين ظلّت مفتوحةً طوال 46 عاما..!!

وهي مدّة كافية لدراسة ملفّات جميع سكّان أفريقيا، لا سكان الجزائر فقط..!!

فضلا عن المجاهدين أو الذّين كانوا قد بلغوا سنّ الرّشد سنوات ثورة التّحرير الكبرى ولو لساعة واحدة قبل إعلان وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962.

46 سنة مضت منذ رحلت فرنسا، ولا يشكّ عاقلٌ في أنّها مدةٌ كافيّةٌ جدًّا لإنهاء ملفّات جميع المجاهدين:

فإمّا مسجّلٌ لدى الوزارة يستلمُ مخصّصاته ويستفيدُ من الامتيازات الموجّهة للمجاهد..

وإمّا زاهدٌ في مغانم الدّنيا، راغبٌ في أجر وثواب الآخرة..

وإمّا ثالثٌ تعرّض للحرمان والظّلم والنّسيان طوال هذه السنوات؛ فمات غمًّا وكمدًا وَوَارَاهُ الثّرى، فصار في دارٍ غير دارنا ودنيا غير دنيانا.

لا أحد في قلبه ذرّة من إيمان وحبّ للوطن ينكرُ دورَ المجاهدين أو يكنّ لهم غير الحبّ والتّقدير، فهم الذّين سجّلوا صفحاتٍ ناصعةً في التّاريخ الحديث وأخرجوا قوةً استعماريةً عاتيّةً كانت تعتقدُ أنّ الجزائر جزءٌ لا يتجزّأ منها.

لكن لا أحد أيضا يملكُ مثقال ذرّة من حرصٍ على مصلحة الوطن ومستقبله يستطيعُ القبولَ ببقاء ملفّ المجاهدين مفتوحا إلى الأبد، بينما نراوحُ مكاننا في قضايا أخرى مصيريّة تمسّ حاضرنا ومستقبلنا وذاكرتنا الجمعيّة.

ولعلّ من أبرز تلك القضايا استعادة الأرشيف الوطنيّ من الدّولة المستعمِرة، **وما قد يحملُ معه من مفاجآت غير سارّة لبعض الذّين شاركوا في صنع المشهد السّياسيّ** منذ فجر الاستقلال.

2008-03-20

بَأَيِّ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيد

سُمِّيَ العيدُ عيدًا، كما جاء في معجم لسان العرب لابن منظور، لأنّه يعودُ كلّ سنة بفرحٍ مُجَدّد، وَوَرَد أيضا في المعجم نفسه أنّ العيدَ عند العرب هو الوقتُ الذّي يعودُ فيه الفرحُ والحزن. وقد عرَف الجزائريّون عيد الاستقلال بمعناه الأوّل خلال السّنوات الأولى التّي تلت خروجَ المستعمر الفرنسيّ حيث كان الفرحُ المتجدّد، أما المعنى الثّاني فقد فرضَ نفسَه بعد ذلك، لأنّ ذكرى العيد صارتْ تحملُ فرحًا وحزنًا في الوقت ذاته.

الجزائريّون الذّين شهدوا سنوات الجمر أيّام الثّـورة التحريريّـة، وما قبلها، كانوا يشعرون بطعمِ عيدِ الاستقلال ونَشْـوَتِه في كـلّ شيء، فبالأمسِ القريبِ كانت البلادُ ترزحُ تحت نـير قـوّات غاشـمة ظالمـة، وكان الجزائريّ يُعامل في وطنه، وعـلى أرض آبائـه وأجـداده، بصـفة مواطن من الدّرجـة الثّانيـة أو الثّالثـة، والثّـروات والأراضي الخصـبة والدُّور الجميلة كانت حكـرا عـلى شـذّاذ الآفـاق الـذّين اسـتقدمتهم فرنسا، وجعلت منهم أسيادًا وملاّكًـا بعـد أن كـانوا حثالـة الحثالـة في مجتمعاتهم..!

ذكرى الاستقلال في السّنوات الأولى لرحيل المستعمر كانت تمـرّ ومعها تلك الأماني العريضة التّي ينتظرُها المواطنون في جهات الـوطن الأربع.

أماني بدولةِ الرّخاءِ والازدهارِ والعدالةِ والمساواة...

ولم يكن هناك شكّ في أنّ الأماني ستتحوّلُ إلى حقـائق، فالبشـائرُ الأولى قد ظهرت وهلالُ الخير قد عَلَا في الأفق مع غـروب أوّل يـوم من أيّام الاستقلال.

وعلى حدّ قول الشاعر:

إنّ الهلالَ إذا رأيتَ نمّوه أيقنت أن سيصيرُ بدرًا كاملا

ومع مرور السّنين ثـمّ العقـود لم يتحـوّل الهـلالُ إلى بـدرٍ كامـل وحتّى نصف كامـل، وبـدأت الآمـالُ في الـذّوبان، وعلـتِ الضّـبابيّةُ والغموضُ جميعَ الوعود الكبيرة والآمال العظيمة، وهكـذا انحصـرت طموحاتُ نسبةٍ كبيرةٍ من المـواطنين لتتوقّـف عنـد سـكنٍ ولـو كـان محدودَ الحجمِ والشّكل في الطّـابق العشـرين مـن عـمارة مزدحمـة دون مصعد أو خدمات أساسيّة، وتراجعت الرّغباتُ لـتحطَّ رحالَهـا عنـد رغيفِ خبزٍ وكيسِ حليبٍ أشبه بالماء يوفّرُ الحدَّ الأدنى من الحياة..!

ولأنّ المقدّمات بذلك القدر من السّوء، فإنَّ النّتائجَ سيّئةٌ بطبيعـة الحال، وهكذا راحت الفرحةُ بِعِيد النّصر واسـتعادة الحريّـة تتنـاقصُ عامًا بعد عام، ومظاهر السّعادة والبهجـة تتضـاءلُ حتّـى وصـلت إلى أجيالنا المتأخّرة؛

ليجدَ الشّابُّ نفسَه في أيامنـا هـذه "أشـبه بـالأطرش في الزّفـة" خلال احتفالات عيد الاستقلال...

فهو في وادٍ وأدبيّات العيد وبرامجه ونشاطاته في واد آخر..!

بل إنّنا نعيشُ مفارقةً عجيبةً وغريبة، ففرنسا التّي أخرجناها بالقوّة وقدّمنا في سبيل ذلك الغالي والنّفيس وشهداء بالملايين؛ هي الآن مهوى أفئدة الملايين حيث صار الحصولُ على تأشيرتها، أو تأشيرة إحدى أخواتها في الضّفة الأخرى، هو غاية المُنَى ومبلغ الطّموحات عند كثير من شبابنا وحتّى رجالنا النّاضجين..!!

هناك حملةٌ مشكورةٌ شرعت فيها جهاتٌ لا يشكُّ أحدٌ في غيرتها وحبّها للوطن وتاريخه وأمجاده.

وتسعى تلك الحملةُ إلى توزيع عددٍ كبيرٍ من الأعلام الوطنيّة وبمختلف الأحجام.

والأهدافُ على ما يبدو هي عودةُ الدّفء بين الجزائريّ ورمز عزّته وجهاده وكفاحه، وهو تلك الرّاية ذات الألوان الثّلاثة، وما تحمله من معانٍ، وتختصره من تاريخٍ حافلٍ بالبطولات.

والحقيقةُ أنّ الخطْبَ أجلُّ والمشكلةَ أعمق؛ فنحن في حاجةٍ إلى جهدٍ أكبر وأشمل يبحثُ عن جذور الدّاء ليقطعه من الأساس..؟

وقبل أن نوزّعَ أعلامًا على شبابنا وأبنائنا علينا إقناعهم عمليًّا أنّ الوطن وطنهم فعلا، وأنّ المستقبلَ لهم والآفاق الرّحبة أمامهم فعلا، لأنّ الصّورةَ الحاليّةَ في بلادنا مُحْبِطَةٌ للغاية في كثير من جوانبها.

فالدّيمقراطيةُ والحرّياتُ العامّة والتّعدّديّة التّي هي مكسب للجميع، لم تراوح مكانها منذ سنين بعد أن صارت العمليّات الانتخابيّة في نظر الكثيرين مجرّد روتين لا أكثر ولا أقلّ، وبعد أن شاع بين الغالبيّة أنّ التّداول الفعليّ على السّلطة ما زال بعيد المنال.

والثّورةُ والكفاحُ والأمجادُ التّليدة صارت ألوانًا باهتةً عند قطاع كبير من جيلنا الصّاعد بعد أن انكشف أمرُ تلك العناصر المدسوسة بين الصّفوف، والتّي أكلت الأخضرَ واليابس، ورفعت شعاراتِ الثّورة لكنّها مثّلتها أسوأ تمثيل، ورسمت حولها صورةً لا تمتّ لها بأيّ صلة من الصّلات.

والإسلامُ الذّي كان المحرّكَ الرّئيسيّ لثورتنا العظيمة، والحامي الحقيقيّ لجبهتنا الدّاخليّة طوال عقود الاستعمار العجاف، حاول البعضُ ربطه بالعنف والإرهاب والدّماء، وحتّى التّخلّف والجمود ومعاداة كلّ جديد ومفيد..!!

ومع كلّ ما سبق فليس أمامنا خيار إلا التّفاؤل وبثّ روح الأمل في أن يعودَ العيدُ القادمُ وما بعده إلى المعنى الأوّل الذّي وردَ في لسان العرب، حيث الفرح والفرح وحده، وسننشِدُ مع أبي الطّيّب المتنبّي في استقبال العيد:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ بِما مَضَى أمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيد

ننشدُ البيتَ كاملاً وأعيننا على آخره، حيث الجديد والتّجديد وهو يدفعُ بسفينتنا التّائهة نحو شاطئ الأمان الذّي ظلّت تبحثُ عنه سنوات طويلة.

2008-07-03

ثَوْرَتُنَا الْعَظِيمَةُ وَذَاكِرَةُ الْجِيلِ الصَّاعِد

ذكرى ثورة نوفمبر العظيمة هذا العام كانت مناسبةً طيّبةً لتجديد العواطف الصّادقة، والإشادة بالأمجاد الشّامخة وتحريك دماء العزّة والكرامة في الشّرايين من جديد، وتذكير الجيل الصّاعد بأنّ له رصيدا لا يُستهان به من العظمة والإباء، وله تاريخ عظيم لا يُغْفِلُهُ أو يَتَنَاسَاهُ إلاّ من أُصِيبَ في بصيرته.

الذّكرى الرّابعة والخمسون لاندلاع الثّـورة التّحريريّـة الكـبرى جاءت هذا العـام متميّـزة في جوانـب التّغطيـات الإعلاميّـة وحجـم المواضيع المُثَارة ونوعيّتها...

ولأنّ "رُبَّ ضـارّةٍ نافعـة" فيمكننـا القـول إنّ أولئـك الـذّين شكّكوا في عدد شهداء الثّورة قبل أيّـام مـن هـذه الـذّكرى وحـاولوا المساس بالثّوابت؛ قد خدموا ما يُعَادُون من حيث لا يدرون..؟

فقد تجنّدَ الجميعُ تقريبا لترسيخ فكر الثّورة مـن جديـد، وتـواترت المؤتمرات والنّدوات والتّصريحات والنّشاطات الإعلاميّة لتؤكّد الثّوابتَ وتُشيد بثورة أوّل نوفمبر وبيانها الأوّل الشّافي الذّي وضـعَ النّقـاطَ عـلى الحروف، ومثّلَ دائما الرّدَّ المُفْحِمَ على كلّ مَنْ حـاول، أو لا زال يحـاول، دفعَ قطار البلاد في غير الطّريق التّي أرادهـا صـانعو الثّـورة المبـاشرين، وغير المباشرين من أولئك الذّين حرّكـوا الـوعي الـوطنيّ وأجّجـوا في نفوس الجزائريّين عَداءَ المستعمر من جديد بعد أن ظنّ أنّه باقٍ إلى الأبد.

المجـادلاتُ والحـواراتُ والمناقشـاتُ التّـي دارت حـول ثـورة نوفمبر هذا العام تطرّقت بإسهابٍ إلى تلك الثّلّة المجاهدة التّي فجّرت الثّورة بعد أن تحدّت الصعابَ والعقبـات، وتناولـت مراحـل الثّـورة

وأهدافها وآلياتها وفعالياتها، وتطرّق البعضُ إلى المناوئين للثّورة، أو الذّين اختلفوا مع المؤسّسين لأكثر من سبب وعلّة ومن هؤلاء مصالي الحاج زعيم حزب الشّعب الجزائريّ.

وتحدّث البعضُ عن جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين وتأخّرها في إعلان التّأييد للثورة، وإن كانت الحقيقةُ غير ذلك حيث تؤكّد البياناتُ الصّادرةُ أنّ الجمعيّةَ بادرت إلى تأييد الكفاح المسلّح خلال الأيّام الأولى لانطلاق شرارة الثّورة.

ومؤكّد في هذا الشّأن أنّ كلّ مَنْ حَمَلَ السّلاح في وجه الثّورة مُدان، ويجب أن ينال نصيبه الوافر من التّشهير والتّوبيخ التّاريخيّ، وأن يُدفعَ دَفْعًا إلى مكانه القصيّ في ذاكرة الأجيال الحاليّة والقادمة بما يتناسب مع عِظَمِ جريمته وفظاعة زلّته وفداحة فعلته.

وفي المقابل لا بدّ أن يُعَادَ النّظرُ في أولئك الذّين خالفوا الثّورة ولم يعادوها، لكنّ جهاتٍ مَا وظروفٍ محدّدةً أدّت إلى المبالغة في معاقبتهم وحرمان أجيال الاستقلال من التّعرّف عليهم وعلى أدوارهم الوطنيّة قبل اندلاع الثّورة..؟

لابدّ من إعادة الاعتبار لهم والكتابة عن تاريخهم بصدق وتجرّد وحياد حتّى يعرف الجيلُ الجديد ما لهم وما عليهم، خاصّة أولئك الذّين مهّدوا للثّورة بشكل أو بآخر عبر بثّ الوعي السّياسيّ وإعادة الرّوح الوطنيّة وإشعار المواطن، عبر سنوات من النّضال العلميّ والسّياسيّ، بأنّه جزائريّ وليس فرنسيًّا وأنّ خلاصَه الحقيقيّ في التّحرّر والتّميّز بدينه ولغته، وليس في سياسات فرنسا ومشروعها للإدماج أو التّجنيس.

ومثل هذا الأمر يقودُ البعضَ إلى مسألة التّصفيات أو الأخطاء التّي حدثت في سنوات الثّورة وبين رجالاتها وصفوفها ومناطقها، ويُطْنِبُ آخرون في الحديث عن الاختلافات بين بيان أوّل نوفمبر ومقرّرات مؤتمر الصّومام، ثمّ مؤتمر طرابلس وغير ذلك من المنعطفات المهمّة في تاريخ الثّورة..؟

والحقيقة أنّ لكلّ باحثٍ الحقَّ المطلقَ في تناول تلك الأحداث بشكل علميّ منهجيّ، لكنّ الحقيقةَ الأخرى أيضا أنّ الذّين يريدون استعمال بعض الأحداث والوقائع للصّيد في الماء العكر واهمون

بل وغارقون في الوهم، لأنّ الثّورة لم تعلن أنّها معصومةٌ من الأخطاء وأنّ رجالها وقادتها كانوا ملائكةً يمشون على الأرض.

إنّها في النّهاية ثورة شعب حتّى لو بدأت بنخبة محدودة وعندما تكون الثّورة شعبيّة بأتمّ معنى الكلمة؛ سينعكسُ حالُ الشّعب عليها، وبكلّ ما فيه من خير وشرّ أو إيجابيّات وسلبيّات. وليس هناك شعب على وجه الأرض عَرَفَ أو سيعرف النّقاوةَ المطلقةَ التّي تمكّنُه من مضاهاة ماء المُزْن.

إنّ الثّورةَ بشكلٍ مجملٍ فوق كلّ تشكيك، لكنّ جميع جوانبها في حاجةٍ إلى قدر أكثر وأعمق من البحث والتّنقيب والتّوثيق، وحتّى لو عجز أو تأخّر صنّاعُ الثّورة الأحياء، لسبب أو لآخر، عن كتابة تاريخ الثّورة الكامل؛ فلا أقلّ من أن يتركوا للمؤرّخين جميعَ ما يساعدهم على الوصول إلى الحقيقة النّاصعة.

فليتركوا شهاداتهم ورواياتهم وصورهم وغيرها، والأيّامُ كفيلةٌ بالاستفادة منها بأقصى الحدود المتاحة، وتقديمها للجيل الصّاعد...

ذلك الجيل الذّي تعاني ذاكرتُه خطرًا عظيما بعد أن تحالفت ضـدّه الفضائيّات الهابطة ومواقع الانترنت الرّخيصة والعولمة المتوحشّة..

تحالفت في سعي دؤوب حثيث لتجريده من كلّ ما يمـتّ بِصِـلَةٍ إلى ثقافة وتراث وذاكرة أمّته القريبة والبعيدة.

2008-11-06

إِرْحَمُونَا يَرْحَمُكُم الله

مجاهدون وأبناءُ شهداء يتحرّكون لمقاضاة رئيسٍ جزائريٍّ أسبق بعد اتّهامه بإصدارِ أمرِ إعدامِ عقيدٍ مجاهدٍ يومًا ما وفي ظرفٍ ما.. وجدلٌ طويلٌ عريضٌ حول جزءٍ من تاريخنا اُصْطُلِحَ عليه بـ القاعدة الشّرقيّة.. هذه هي البداية وما زال في جعبة القوم الكثير.. أمّا أجيالُ الاستقلال فيريدون لها الانتظارَ إلى أجلٍ غير مسمّى.

قاعدةٌ شرقيّةٌ أم غربيّةٌ، جنوبيّةٌ أو شماليّة..؟؟

أمرٌ مهمٌّ جدًّا للتّاريخ وما يتبعه من الحفاظ على الذّاكرة الوطنيّة..

لكنّها تظلّ هامشيّةً ولن تدخلَ "المجال الحيويّ" لشبابٍ تُناوِشُهُ المشاكلُ من جميع الجوانب وتسعى لدفعه دائما إلى الزّوايا الضّيّقة ومن ثمّ الهروب في اللّيالي الحالكة على القوارب المتهالكة، أو الالتحاق بجماعات الجريمة التّي صارت شبه منظّمة، وما شابه ذلك من مظاهر الإفلاس الشّبّانيّ في بلادنا.

إنّ الحديثَ عن القاعدة الشّرقية وبقيّة "الزّوايا التّاريخيّة الحادّة" التّي عرفَتْها ثورتنا التّحريريّة العظيمة أمرٌ ممتعٌ ومفيدٌ للغاية، خاصّة بالنّسبة لجيل الاستقلال، شرط أن يكون هذا الجيل في وضعيّة تتيحُ له الاستماعَ والقراءةَ والبحث، لأنّ الطّامّات التّي يعيشها شبابُ اليوم وحجم الإحباطات التّي يتخبّطُ فيها تَحُولُ دون متابعة مثل هذه القضايا أو قراءتها، فذلك من قَبِيلِ الكماليّات والتّرف الذّي يستحيلُ تحقيقه مع الواقع المزريّ...!!

وأيضا... لأنّ الحديثَ عن تلك القاعدة لن يجدي نفعًا هذه الأيّام بعد أن أوصلَتْنَا مشاكلُنا المتراكمة، ودسائسُ ما وراء البحار، إلى قاعدةٍ أخرى تضربُ هنا وهناك وتثيرُ التّساؤلَ تلو الآخر، إضافة إلى "قواعد" أخرى متنوّعة ومتعدّدة الألوان والمشارب..؟

حديث الماضي طويلٌ ومتشعّب، وإذا بدأ البعضُ نَبْشَ المطمور منه تحت تراب النّسيان والمصالح والتّوازنات فقد يحدثُ ما لا يخطر على بال..؟

سيتحوّلُ ذلك المنسيّ إلى سيل عارم يصعبُ الوقوفُ أمامه أو التّحكم في مساراته ونتائجه، حتّى لو كانت البداية مقصودة ومدروسة بدقّة متناهية، وليست مجرّد هفوات أو ردود أفعال أو تصفيّة حسابات آنية أو التّنفيس عن ضغوط وترسّبات سابقة.

سينتقل الحديثُ بعد البداية السّهلة وبسلاسة تامّة إلى ملفّ التّصفيّات الجسديّة، والأخطاء التّي شهدتها سنوات الثّورة وشاعت بين عدد من رجالاتها، وسيتوسّعُ آخرون في الحديث عن الخلافات بين التّوجهات الفكريّة والسّياسيّة التّي كانت سائدة بين قيادات الثّورة في الدّاخل والخارج، وسيتوقّفُ الكثيرون أمام مؤتمر الصّومام

ومدى انسجام مقرّراته أو طروحات منظّريه مع بيان أوّل نوفمبر، وسينتقلون بعد ذلك إلى مفاوضاتِ إيفيّان وإعلان الاستقلال ودولة ما بعد الاستقلال، خاصّة سنوات المخاض الأولى التّي أنهاها انقلاب الرّئيس هواري بومدين أو حركته التّصحيحيّة..؟؟

إنّ إجماعَ العقلاء منعقدٌ على أنّ الحقَّ المطلقَ مكفولٌ لكلّ باحث يتناولُ أحداثَ الثّورة بشكل علميّ ومنهجيّ وموضوعيّ، لكنّ الإجماعَ الذّي ينبغي أن ينعقد، أو يترسّخ عمليًّا إن كان منعقدا، هو إدانة الذّين يريدون استعمالَ بعض الوقائع التّاريخيّة والتّصريحات والردود المتضادّة لتوجيه دفّة الأحداث نحو اتجاه آخر يخدم مصالحهم الآنية، ويساعد في إحكام الأقفال على قضايا أخرى أكثر أهميّة وأشدّ ارتباطا بما نعيشه في جزائر اليوم..؟؟

كما أن الذّين يريدون استغلال الجدل الدّائر حاليا في إدانة الثّورة بشكل كامل واهمون لأنّ أغلب الثّورات، وعلى مدار التّاريخ، لم تعرف العصمةَ من الأخطاء والهفوات وحتّى الزّلات الكبيرة، بل إنّ كثيرًا من الثّورات انتقلت في مراحل لاحقة إلى التآكل الدّاخليّ حين

أقصى رفقاءُ السّلاح والكفاح بعضَهم البعض جرّاء التّنافس والضّعف والأهواء، أو عبر مؤامرات ودسائس الأعداء..!

إنّ جميع جوانب ومراحل الثّورة التّحريريّة الكبرى، وتاريخ الجزائر الحديث عموما، في حاجة إلى جهود أعمق وأكبر تشمل الدّراسة والبحث والتّوثيق، وهذه الجهود في حاجة أشدّ إلى الصّدق والتّجرّد والشّجاعة الكاملة..

ومن حقّ كلّ من ساهم في صنع تاريخ الثّورة أن يُدْلِيَ بشهادته وأن يتحدّثَ ويُخْرِجَ من مخازن الذّاكرة ما شاء، ويعرضها على من يشاء وكيف يشاء..

ومن تعسّر عليه ذلك جهارًا نهارًا وخشيَ التّشهيرَ أو الملاحقةَ، فما عليه سوى ترك شهادته للتّاريخ، عند جهاتٍ أمينة، وستخرجُ إلى العلن بعد وفاته وهو في أمن وأمان من تبعاتها.

ومع كلّ ما سبق تظلّ أولويّة الأولويّات هي مصير الأجيال الحاليّة والقادمة...؟؟

فارحموا هذه الأجيال يرحمكم الله، وأَخْرِجُوا الآن من الحقائق والشّهادات ما يساهمُ في دفع عجلة التّنميّة الحقيقيّة إلى الأمام، ويساعدُ على حلّ ألغازِ ذلك العدد غير اليسير من القضايا والمنعطفات الخطيرة التّي مرّت بها البلاد وما زالت مقيّدة ضدّ مجهول..؟؟

فمرحبًا بكلِّ حديث عن الماضي يقرّبنا إلى معرفة السّبب الكامن وراء ما نحن فيه من تخلّف عن أقراننا، لينطلقَ قطارُ الجيل الجديد بكلّ تجلّيّات الحضارة والمدنيّة المعاصرة.. وبعيدا عن الحساسيّات والحسابات والتّوازنات التّي عرفتها الثّورة وحكومات ما بعد الثّورة.

2008-12-25

المُبَارَيَاتُ مُسْتَمِرَّةٌ سَعَادَةَ السَّفِير

في حديثه مؤخّرا للصّحافة، على هامش زيارته لولاية تبسّة، قال السّفيرُ الفرنسيّ إنّه فرح بانتصارات الجزائر "الكرويّة". وأضاف السّيّد "خافيار دريانكور" مازحًا، كما نقلت الجرائدُ الوطنيّة: أنّ لقاءً وديًّا سيجمعُ الجزائر وفرنسا بعد ضمانِ تأهّل فريقيْ البلدين، في حال لم تجمعنا قرعةُ كأسِ العالم في مجموعة واحدة.

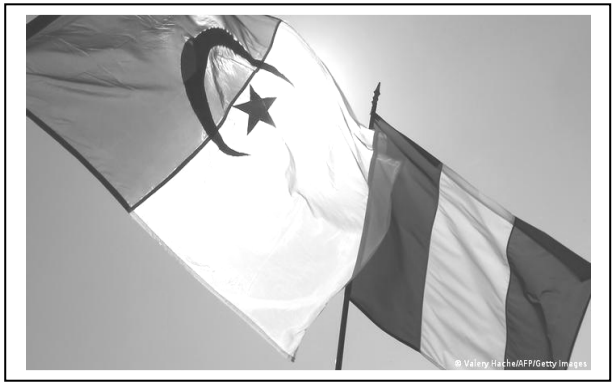

السّفيرُ الفرنسيّ "المبجّل" كان في زيارة لولاية تبسّة التّي أعجبته وأبهرته بطبيعتها وموقعها والقاعدة التّي تملكها في مجال الاستثمار، على حدّ تعبيره، وكانت فرصةً سانحةً له، على ما يبدو، ليتحدّثَ أمام الصّحافة حول العلاقات الفرنسيّة الجزائريّة "المتميّزة للغاية" خاصّة بعد الزّيارة الرّسمية للرّئيس نيكولاي ساركوزي للجزائر قبل سنتين..؟

زيارةٌ مهدّت لزيادة التّعاون الاقتصاديّ بين البلدين في عدد من المجالات، وأثمرت تلك الزّيادة الكبيرة في عدد الشّركات الفرنسيّة التّي تستثمر في الجزائر، حيث وصلت إلى 400 شركة وفّرت 35 ألف منصب عمل للجزائريّين على حدّ قول السّيد السّفير دريانكور.

تلك هي الأرقام التّي "أتحفنا" بها السّفير.

ولم يبخل علينا أيضا ببشارة أخرى وهي أنّ الأرقامَ التّي بين أيدينا مرشّحةٌ للزّيادة "في ظلّ المساعي القائمة بين البلدين لتطوير وتفعيل مجالات الاستثمار، خاصّة أنّ الجزائر تُعْتَبَرُ السّوق الثّانيّة لفرنسا عالميًّا بعد الصّين".

السّفير الفرنسيّ تحّـدّثَ أيضـا عـن ضـحايا التجّـارب النّوويّـة الفرنسيّة في الصّحراء الجزائريّة، ليؤكّدَ أنّ هناك لجانًـا مكلفـةً بدراسـة هذا الملفّ الذّي بات قريبا من الفصل النّهائيّ..؟؟

كما تطرّقَ الرّجلُ إلى موضوعٍ آخر مهم، ولا ندري بَعْدُ شَرَّهُ مِـنْ خَيْرِه، وهو قضيّة التّجنيس، حيث أكّـد أنّ الجزائـريّين الـذّين وُلـدوا قبل فجر الاستقلال في فرنسا لهم الحقّ في الجنسيّة الفرنسـيّة، والـذيّن وُلدوا أيضا في تلك الفترة، لكن خارج التّراب الفرنسـيّ، فـأمرهم في انتظار الفصل..؟

قضـيّةٌ تُعيـدُ إلى الأذهـان ذلـك الجـدل الـذّي دار أيّـام الحركـة الوطنيّة الجزائريّة حول قبول الجنسيّة الفرنسية، بين داعٍ لـذلك، وبـين رافضٍ متشدّد لا يرى في الأمر أكثر من مراوغة اسـتعماريّة تهـدفُ إلى تحقيق حلم الجزائر الفرنسيّة الذّي حاول دهاقنـةُ الاسـتعمار الوصـولَ إليه بشتّى الوسائل.

سعادةُ السّفير تحدّثَ إذًا عـن عـددٍ مـن الملفّـات العالقـة، التّـي تعكفُ لجانٌ فرنسيّة على دراستها، ونسيَ، أو تَنَاسَى، أنّ الملفـاتِ التّـي خلّفها الاستعمارُ في بلادنا لا تحتاجُ إلى دراسة عند أغلـب الجزائـريّين،

عدا أولئك الشّواذ ثقافيًّا ووطنيًّا، لأنّها ملفاتٌ واضحةٌ وضوح الشّمس في رابعة النّهار.

إنّه مستعمرٌ غاشمٌ هاجمَ بلادَنا واستغلّ ثرواتنا مدّة قرن وثلث قرن.. اضطهدَ شعبَنا وقتلَ الملايين بالسّلاح أو التّسبّب في المجاعات والأوبئة وغيرها..

إنّه ملفٌّ لا يحتاجُ إلى لجانٍ متخصّصة أو غير متخصّصة، فهو حقيقةٌ تاريخيّةٌ يعرفها القاصي والدّاني..

وأوّلُ خطوات طيّ ذلك الملفّ هو الاعترافُ أوّلاً...

ثمّ الاعتذار لِتَتْبَعَهُ بقيّةُ الخطوات.

إنّ فرنسا الرّسميّة ما زالت تستفزُّ ذاكرتَنا الوطنيّة من خلال ذلك القانون الذّي يمجّدُ عقودَ الاستعمار الطّويلة، ويعتبرها خيرًا وبركةً على شعوبنا التّي عانت الويلات من "الاستدمار" وأذنابه..!

أَلَا مَا أَسْخَفَهُ وَأَوْسَخَهُ وَأَوْقَحَهُ من قانون.. وهو يعتبرُ الجيوشَ الجرّارةَ، التّي دمّرت الأخضرَ واليابسَ في بلادنا، رسلَ سلامٍ ودعاةَ حضارةٍ وبناةَ مدنيّة..!!

إنّ الحديثَ عن الاقتصاد والاستثمار دون الشّروع في خطوات جادّة على طريق الحلّ الشّامل لجميع القضايا العالقة هو قفزٌ إلى الأمام، وقد يشكّلُ تماديا في الاستهتار بالطّرف المقابل والسّخرية منه، وبشكلٍ مُدَبَّرٍ ومقصود.

إنّنا ندركُ جيّدًا خطورةَ النّبش في ملفّات الماضي من أقصاها إلى أقصاها، وفي جميع دول العالَم.

ندركُ أنّ ذلك الأمرَ قد يسبّبُ شرورًا عظيمةً، ويبرزُ إلى السّطح خلافاتٍ لا أوّلَ لها ولا آخر.

لكنّ أضعفَ الإيمان أن نسمعَ كلماتِ اعتذار رسميّ، يتلوها كفُّ الأيادي الفرنسيّة عن مواصلة النّهج القديم الموغل في الخطأ والجهالة.

نريد أن ترفع فرنسا يدَها عن بلادنا وتتركَ لنا مطلقَ الحريّة في أن نقرّرَ ما يوافقُ هويّتَنا وتاريخَنا وتطلّعاتِنا العادلة.. أن توقفَ دعمَها السّخيَّ لكلّ "الجهود" الظّاهرة والمستترة التّي تخدمُ المشروع الاستعماريّ القديم..؟

إنّنا في عصر القرية العالميّة الواحدة وحوار الحضارات وتقارب الثّقافات والأديان المختلفة، أو في عصر الدّعوة إلى ذلك على الأقل.

ولا يوجدُ جزائريّ في عقلـه ذرّة مـن حكمـة يـرفضُ التّعـايشَ ويستبدله بالتّنابز والصّدام والتّطاحن...؟

لكن تصرّفات نظرائنا في الضّفة الأخرى من المتوسّط تَشِي بأنّهم ما زالوا يرمقوننا من وراء تلك النظّارات التّي وضعَها الغزاةُ القـدامى على عيونهم وهم يهاجمون سواحلنا ويتوغّلون في أراضينا..!

لقد توقّعتَ سعادةَ السّفير مباراةً وديّةً أو مقابلةً رسميّةً في ميـدان كرة القدم، لكنّ الحقيقةَ أنّ المباريات بـين بلادنـا وبلادكـم لم تتوقّـف يوما منذ وَطِئَت أقدامُكم أراضينا عـام 1830، وحتّـى عنـدما انتهـى السّجال العسكريّ بإعلان الاسـتقلال ظلّـت المباريـاتُ مسـتمرّةٌ في ميادين ومجالات أخرى.

نعم إنّ المباريات مستمرّة، وإذا كان فريقُنا قد بدا خـلال العقـود الماضية غير كفـء في بعض جوانبـه التّقنيّـة والنّفسـيّة، فكانـت الغلبـةُ لكم في كثير من الجولات.. **فـاعلم أنّ الأيّـامَ دُوَلٌ، وسـيأتي الفريـقُ "النّدّ" يومًا ما** وتبدأُ تلك المباراة المتكافئة اقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيّا.

2009-10-10

تَحَدَّثُوا ولاَ تَخَافُوا عَلَى ثَوْرَةِ نُوفَمْبَر

"وكنتُ قبل اليوم ذَكَرْتُ لأحد الشّيوخ الذّين تربطهم صلةٌ وثيقةٌ بالشّيخ التّبسّي وبجمعيّة العلماء، فنصحني بعدم نشر الرّسالتين لأنّهما، من وجهة نظره، غير مناسبتين. وكان ذلك غِيرَةً منه فيما بدا لي على سمعة الشّيخ التّبسّي والجمعيّة عموما، ومن رأيه أنّ وقتَ الرّسالتين قد فات".

إنّه الدّكتور أبو القاسم سعد الله، شيخ المـؤرّخين الجزائـريّين، وهـو يتحدّثُ خلال تقديمه لرسالتين نشرهما في مجلة "المصادر" التّي يصـدرها المركز الوطنيّ للدّراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أوّل نوفمبر.

الرّسالتان شخصيّتان، أو كانتا كذلك في وقتٍ مـا، وقـد وصـلَتَا إلى (أبو القاسم سعد الله) من الشّيخ العربيّ التّبسيّ رحمه الله.

الأُولَى أرسلَها الشّهيدُ من مدينة تبسّة إلى العاصمة منتصف عـام 1955؛

أمّا الثّانية فقد أرسلَها من العاصمة، وتحديـدا مـن مركـز جمعيّـة العلماء المسلمين الجزائـريّين، عـام 1956 وكانـت وجهتُهـا ومحطّتهـا النّهائيّة هي مدينة القاهرة حيث كـان (سـعد الله) قـد سـافرَ لمواصـلة رحلةِ طلب العلم.

الرّسالتان تَضَمَّنَتَا بعضَ الشّكوى ممّا يجري داخل جمعيّـة العلـماء وبين الزّملاء والإخوان العاملين في إطارها، بل أكثر من ذلـك حيـث بدا في كلامِ الشّيخ العربيّ التّبسيّ رحمه الله شيءٌ من العتـاب الموجّـه إلى الشّيخ الرّئيس محمّد البشير الإبراهيميّ، رئيس جمعيّة العلماء المسـلمين الجزائريّين آنذاك، الذّي كان يقيمُ في القاهرة في تلك الفترة.

وقد أسفرَ العتابُ عن وَجْهِهِ، بل هو اللّومُ والنّقدُ الْبَيِّن، عندما قال الشّهيد التّبسيّ في رسالته حول سَفَر الإبراهيميّ، رحمه الله، إلى الرّياض:

"ونحن كنّا نحسبُ أنّ سَفْرَة الرّئيس لا تكون عنده ولا عندنا واقعة في خفاء أو إخفاء نجهلها ونجهل وقتها ونجهل دواعيها والأغراض منها، لأنّ مثل هذه التّصرّفات النّاطقة بأنّ الصّلةَ التّي ينبغي أن تكون بين رئيس وهيئة رئيس يمثّلُ حركةً واسعةً ذات شُعَبٍ مختلفة، مثل هذه التّصرفات هي التّي وصلت بالجمعيّة إلى حالتها الحاضرة. ثمّ إنّ الصّلةَ بيننا وبينه صلةٌ مفكّكةٌ ضعيفةٌ لا تتّسمُ بما عُرف عن غيرنا من النّظام والارتباط وتبادل الرّسميّات، فكأنّه يعملُ لنفسه وباستقلاله ولغير جمعيّة يتكلّمُ باسمها ويعيشُ في الشرق بعنوان حركتها، فيسافرُ كما يسافر الفردُ ويتصرّفُ كما يتصرّف الفرد ويعملُ كما يعمل الفردُ ويفكّرُ كما يفكّر الفردُ ويصلُ من يصلُ ويقطعُ من يقطع. هذا هو شأن الشّيخ من يوم أن سافر، وكنتُ أحسب أنّ الله سينفعه ببعض الشّواهد الدّالة على أنّ ذلك الماضي ينبغي أن يقف"..!!

ويعلّقُ الدّكتور أبو القاسم سعد الله في الهامش فيقول: "يبدو أنّ أحداث الثّورة كانت تضغطُ على أعضاء الجمعيّة بالدّاخل، بينما لم

تكن لهم صورةٌ واضحة عما يجري في الخارج لكي ينسّقوا ويتّخذوا المواقف المناسبة، أي كان هناك نقصٌ في شبكة الاتّصال والمعلومات عندهم، ومثل معظم الجزائريّين عندئذ كانت الأحداثُ أكبر من حجم عدد منهم"..؟

وعودة إلى مقدّمة الدّكتور سعد الله، والحديث الذّي جرى بينه وبين الشّيخ ذي الصّلة الوثيقة بالشّهيد التّبسيّ وجمعيّة العلماء، فقد علّقَ على رغبة الشّيخ في عدم نشر الرّسالتين بقوله: "لكن هذا الشّيخَ المبجّلَ غير مؤرّخ، ولو كان مؤرّخًا لَاعْتَبَرَ الرّسالتين هامّتين بل وثيقتين تسلّطان الضّوءَ على حقبة من تاريخنا من خلال العلاقات الشّخصيّة والأحداث التّي تشيرُ الرّسالتان إليها".

إنّ ذلك الشّيخَ المبجّلَ الذّي تحدّث عنه الدّكتور أبو القاسم سعد الله، كان يحتفظ، على ما يبدو، بصورةٍ رائعة لجمعيّة العلماء ورجالاتها وجهودها ودورها الرّساليّ الإصلاحيّ الرّائد.

وله كلّ الحق في ذلك، لأنّ دورَ الجمعيّة في إعادة الحياة إلى اللّغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة لا ينكره إلاّ جاحدٌ مكابر.

لكنّ مراعاةَ الحقّ والإنصاف تقتضي أيضا وَضْعَ الأمورَ في نصابها والأحداثَ في سياقها؛ فجمعيّةُ العلماء المسلمين الجزائريّين في البداية والنّهاية جهدٌ بشريٌّ يسري عليه ما يسري على الجميع من أخطاء ومشاحنات وحظوظ نفس، ومواقف وتصرّفات تجانبُ الصّوابَ وتبتعد قليلا أو كثيرا عن الجادّة.

والحقيقة التّي ينبغي الإقرارَ بها أنّنا في حالات الضّعف كلّنا ذلك "الشّيخ المبجّل" الذّي تحدّثَ عنه الدّكتور أبو القاسم سعد الله. جميعنا، أو أغلبنا على الأقلّ، يحدونا ذلك الأملُ الجميلُ في أن تظلّ الصّورةُ التّي رسمناها لشخصيّةٍ، أو جمعيّة أو حزب، زاهيةَ الألوان. ويستهوينا ذلك الميل والحيف نحو التّقييم الإيجابيّ لمرحلة تاريخيّة معيّنة، خاصة إذا شاركنا في صياغة أحداثها.

وعلى ذلك المنوال يمكن القولُ إنّ جميع الشّرفاء والوطنيّين المخلصين من أبناء الجزائر، ورغم جميع المكدّرات والشّوائب، ظلّوا يحتفظون بصورةٍ رائعةٍ متكاملةٍ متناسقةِ الألوان لثورة نوفمبر بجميع مراحلها ومنعطفاتها. وكثيرون يخافون أن تشوبَ تلك الصورةَ أدنى شائبة، وكأنّ الثّورةَ قد انطلقت وترعرعت وظلّت "مبرّأة من كلّ

عيب"، مع أنّ رجالَ الثّورة وقادتها الحقيقيّون لم يـدّعوا ذلـك، بـل إنّ ثقافتهم وثقافة شعبهم لا تقرّ بالعصمة للبشر وجهودهم مهـما حلّقـوا في مراتب التّضحيّة والورع والنّزاهة.

إنّ التّاريخَ لا يحابي أحدا، ولا يريـدُ إلاّ الحقيقـةَ المجـرّدة، ولـو أصرّ الجميعُ على تلك الصّورة الزّاهية الألوان لما استفدنا شيئا من عِبَر الماضي.. وإذا كان بعضُ الفاعلين من صنّاع أوّل نوفمبر قـد تكلّمـوا؛ فإنّ الكثرةَ ما زالت صامتةً وربّما زاهدة فيما عندها.

وعـودة إلى حـديث الـدّكتور أبـو القاسـم سـعد الله و"الشّـيخ المبجّل" لندرك حاجتنا الماسّة إلى أن يتمثّـلَ جميـعُ مـن يعنـيهم الأمـرُ أدوارَ المـؤرّخين وينفضـوا الغبـارَ عـن كثـير مـن الوثـائق والرّسـائل المكتوبة، وتلك التّي استقرّت داخل العقول وفي ثنايا الذّكريات..

أنثرْ أيّها المجاهد كلَّ شيء بين يدي التّاريخ وَثِقْ بـه ودَعِ الحكـم له، وطلّق الخوفَ والقلـقَ عـلى صـورةِ الثّـورة، فإنّهـا شـامخةٌ بعـد أن ترعرعتْ شجرتُها على دماءِ الشّهداء الأخيار.

2009-11-01

أُلْقُوا بِهَا إِلَى الشَّعْب

خطوةٌ محمودةٌ ينتظرها كلُّ الوطنيّين المخلصين بفارغ الصّبر. ويقظةٌ نتمنّى أن يكون لها ما بعدها.. تلك هي مبادرة النّائب الدّكتور موسى عبدي والذّين ساندوه بالتّوقيع والتّصريح والتّثمين والإثراء. وَثْبَةٌ جريئة يقوم بها المجلس الشّعبيّ الوطنيّ لسنّ قانون يجرّم الاستعمارَ ويُدينُه ومن ثمّ يطالبه بالتّعويض ومحاكمة مجرمي الحرب.

المبادرةُ التّي راحَ النّوابُ ينضمّون إليها تباعًا عبر التّوقيع عليها؛ بدأت تأخذُ منحاها الطّبيعيّ اللاّئق بها، وتسيرُ في السّياق الذّي أراده المبادرون بها وذلك بعد أن وقّع عليها نوّابٌ من مختلفِ الأحزابِ المُمُثَّلَةِ في المجلس الشّعبيّ الوطنيّ إضافة إلى النّواب الأحرار، ويُنتظرُ أن تتوسّعَ بعد ذلك عندما تتبنّاها إدارةُ المجلس ثمّ تتحوّل إلى الغرفة العليا حيث مجلس الأمّة وكثير من شخصيّاته المؤثّرة.

المبادرةُ جاءت ردًّا على قانون 23 فيفري 2005 الممجّد للاستعمار، والذّي صادقت عليه الجمعيّة الوطنيّة الفرنسيّة.

ردٌّ متأخّر بعض الشّيء لأنّ القانونَ الفيزيائيّ يقرّر أنّ لكلّ فعل ردّ فعل مماثل له في القوّة ومعاكس له في الاتّجاه.

لكنّنا قد نبيحُ لأنفسنا ونُخَبِنَا المفترضة بعض الأعذار في مثل هذه الحالات غير الفيزيائيّة البحتة، فمسائلُ من هذه الشّاكلة تظلّ شائكةً، حيث يتداخلُ فيها السّياسيّ بالاقتصاديّ والثّقافيّ والتّاريخيّ وحتّى الأمنيّ، كما أنّ الاعتبارات الشّخصيّة المراعيّة للكراسي وحسابات الرّبح والخسارة جعلت ردَّ الفعل المطلوب يتأخّرُ كلّ هذا الوقت، مع أنّ الأمرَ عاديٌّ جدا إذا ما استحضرنا الشّجاعةَ الكافية،

لأنّ تمجيدَ الاستعمار الفرنسيّ جاء عبر برلمان منتخب، وأضعفُ الإيمان في الرّدّ عليه من الجهة المقابلة يتولاّه برلمانٌ منتخب أيضا، إلاّ إذا كان في كيفيّات الانتخاب وفعاليّته وحدود وقوّة ما يتمخّضُ عنه فرق بين الجهتين..؟؟

وبعيدا عن الجدل الذّي دار حول الموضوع وقد يدور لاحقا؛ فإنّ الحقيقيةَ التّي ينبغي التّأكيدَ عليها دائما أنّ الاستعمارَ الفرنسيّ للجزائر كان ولا يزال مُدانًا عند السّواد الأعظم من أبناء الوطن، عدا أولئك الشّواذ الذّين ركبوا قطار الاستعمار وتعلّقوا بأذياله، والشّاذّ عادة ما يؤكّد القاعدةَ دون أن ينفيها.

إدانةُ الاستعمار ظهرت بصورة واضحة عندما جنّد الشّعبُ الجزائريُّ نفسه وراء المجاهدين وواصل اللّيل بالنّهار صابرا محتسبا وهو يدفعُ فاتورةَ الحريّة غاليّةً من دمه وقُوتِه.

وتواصلت تلك الإدانةُ في جميع المناسبات الوطنيّة بعد ذلك، حتّى إنّ الأجيال الصّاعدة، رغم سيل العولمة الجارف، حفظت العهدَ ووفّرت في ذاكرتها مكانًا للحقبة الاستعماريّة وما جرّته على الجزائر من مآسي وأحزان.

إنّ ردَّ البرلمان الجزائريّ على قانون 23 فيفري 2005 الممجّد للاستعمار أمرٌ مطلوب، لكنّ تحقيقَ النّتائج الكبيرة المرجوّة منه مرهونٌ بمدى القدرة على توسيع الفكرة ورفع الحجر الرّسميّ وشبه الرّسميّ عنها، والدّفع بها بعد ذلك لتتحوّل إلى قضيّة وطنيّة عامّة تؤرّقُ بالَ جميع المواطنين.

والأمرُ سهل للغاية، فكما أُلقيتِ الثورةُ بين يدي الشّعب قديما، يُلقى إليه هذا المشروع أيضا، ولعلّ الخطوة الأولى تبدأ عبر تعميم دائرة التّوقيعات لنشاهد عرائض مليونيّة تجوبُ الولايات، كما دعا إلى ذلك مؤرّخ وباحث جزائريّ معروف.

إنّها فرصةٌ لإعطاء المبادرة أبعادا أكثر.. اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة، والدّعوة من خلال المشروع إلى مراجعة العلاقات الرّاهنة مع فرنسا لتتحوّل إلى مرحلة جديدة تقوم على مبدأ النّديّة والاحترام الكامل خاصّة في المجال الثّقافي، لأنّ ذلك الاستعمار البغيض قد رحلَ عن بلادنا عسكريًّا، لكنّه ظلّ جاثمًا على صدورنا بلغته وثقافته التّي تركَ لها من يرعاها، من بني جلدتنا، وعبر مؤسّساتنا وأموالنا..!!

إنّ أخطرَ مَغْنَمٍ يخشى الفرنسيّون عليه هو اللّغة ونفوذها في إداراتنا ومراكزنا التّعليميّة.

إنّهم يتنادون بالويل والثّبور وعظائم الأمور عند أيّ محاولات جادّة لزحزحة اللّغة الفرنسيّة عن المكانة التّي احتلّتْها في بلادنا..!!

ومن واجبنا، في المقابل، التّنادي والنّهوض لِمَحْوِ العار الذّي يلاحقُنا بعد أن ظلّت لغةُ المستعمر رائدةً بيننا، وبعد نصف قرن من الاستقلال.

إنّ الصّيتَ الذّي صنعته الثّورة التّحريريّة الكبرى لم يقترب منه صيتُ ثورةٍ أخرى معاصرة سوى ثورة الفيتناميّين ودحرهم على التّوالي للفرنسيّين والأمريكيّين..

لكنّ الفرقَ بعد الاستقلال كان كبيرا.. ففي بلادنا جاء من اعتبرَ لغةَ المستعمر (غنيمة حرب)، وعندهم حدثَ العجبُ العجاب، حيث توجّهوا بصدقٍ إلى لغتهم وأصرّت قياداتُهم على حماية اللّغة الفيتناميّة وتأهيلها لتكون لغةَ العلم في جميع المراحل التّعليميّة، حتّى الجامعة التّي كانت قلعةَ الفرنسيّة، وحتّى كلّية الطبّ التّي ما زال بعضُ المعاندين في بلادنا يصرّون على أنّ الدّراسة فيها لا تكونُ إلا بلغةٍ مستوردةٍ من وراء البحار..!!

لقد سجّلَ التّاريخُ ذلك الموقفَ العظيمَ للزّعيم الفيتناميّ (هوشي منّه) عندما لم يهضم أساتذةُ الطّبّ قرارَه بتعميم اللّغة

الفيتناميّة، ومن ثمّ طلبوا مقابلته وشرحوا له الموقفَ وصعوبةَ بل استحالة تطبيق (الْفَتْنَمَة) في مناهج الطّبّ، وأنّ الحكمةَ تقتضي تأجيلَ القرار أو تطبيقه بشكلٍ تدريجيّ لعدّة سنوات.

لقد حسمَ الزّعيمُ المسألةَ قائلا: "يُسْمَحُ لكم هذه السّنة، استثنائيا، بالتّدريس باللّغة الفرنسيّة، مع ضرورة تعلّمكم أنتم وطلبتكم اللّغة الفيتناميّة، على أن تجرى الامتحانات في نهاية السّنة الدراسيّة باللّغة الفيتناميّة"...

وتوالت الجهودُ العظيمةُ عندما أسّس الفيتناميون لجاناً لغويّةً وعلميَّةً للتّرجمة، ومن خلالها عرفت المصطلحات الفيتناميّة الجديدة ازدهارا كبيرا، وفي غضون عشرين عاما فقط كانت اللّغةُ الفيتناميّة، التّي أقصيت طويلا، تنحتُ ربعَ مليون كلمة ومصطلح جديد.

كان الفيتناميّون يعملون ونصبَ أعينهم وصيّة زعيمهم (هوشي منّه): "اسهروا على صفاءِ اللّغة الفيتناميّة كما تسهرون على صفاء عيونكم، تجنّبوا، وبعناد، أن تستعملوا كلمةً أجنبيّةً في مكانٍ باستطاعتكم أن تستعملوا فيه كلمةً فيتناميّة".

2009-12-12

حُلُمُ الجَمَاهِيرِ الجَزَائِرِيَّة

غريبٌ جدّا أن يستهجنَ ورثةُ ثورةِ (الحريّة والمساواة والإخاء) حقَّ الآخرين في الدّفاع عن ذاكرتهم التّاريخيّة والسّعي نحو إيجاد صيغةٍ قانونيّةٍ تجرّمُ فترةَ الاستعمار وتلاحقُ الأحياءَ من المجرمين وربّما تحاكمُ حتّى الأموات (غيابيًّا) لتضعهم في مكانهم اللاّئق بهم، وهو ذلك الرّكن القصيّ المظلم من التّاريخ حيث يتكدّسُ القتلةُ ومصّاصو الدّماء وأعداءُ الإنسانيّة من كلِّ لونٍ وعِرقٍ ودين.

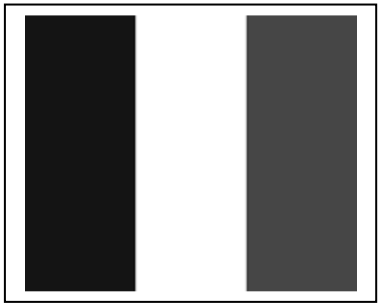

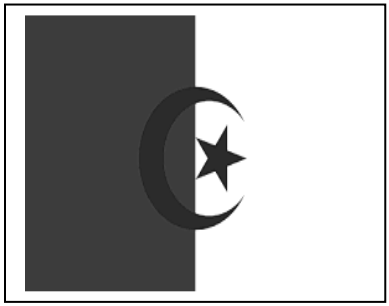

إنّها فرنسا الحرّيّة والدّيمقراطيّة وحقوق الإنسان قد كشّرت عن بعض أنيابها لتعلنَ أنّها غير راضيّة عن مجرّد اقتراحٍ سوف يُعرَضُ على البرلمان الجزائريّ..!!

لقد عبّر برلمانيّو اليمين خاصّة عن استيائهم من مساعي نظراء لهم في الجزائر، واستكثروا عليهم أن يمارسوا حقّهم الطبيعيّ في التّعبير عن نبض الشّارع، ويسعوا إلى إصدار قانون يجرّم الاستعمار الفرنسيّ للجزائر، وما يترتّبُ على ذلك من إجراءات يكون بينها إنشاء محاكم خاصّة لمتابعة المسؤولين عن الجرائم التّي حدثت في الفترة الاستعماريّة، بالإضافة إلى رفع دعاوى ضدّهم في المحاكم الدّوليّة.

نعم لقد استاء أولئك النّواب الفرنسيّون من مساعي النّواب الجزائريّين مع أنَّ الخِبْرَ الذّي كُتِبَ به قانون 23 فيفري 2005 الممجّد للاستعمار، والذّي صادقت عليه الجمعيّة الوطنيّة الفرنسيّة، لم يجفّ بعد..!!

وشتّان بين القانونيْن.

فذلك يمجّدُ فترةً سوداء من تاريخ البشريّة هـاجمَ فيهـا الشّـمالُ أهلَ الجنوب واستولى على ثرواتهم بعد أن أعمل فيهم آلاته الحربيّة.

والقانون الجزائريّ المقترح ينصفُ شعبًا لاقـى الـويلات وكابـد المآسي في عقر داره ودون أن تكون له يد في ما حـدث، إلاّ أنّـه يعـيش على أرض واسعة شاسعة تزخرُ بالثّروات وتطفحُ بالخيرات، فأسـالت لعابَ قوم ضعاف النّفوس تحرّكهم شهوات غريبـة.. وأنَّ حاكمَـه في زمان سابقٍ طالبَ بحقوق وديون بلاده، وردّ على إهانةِ قنصلٍ فرنسيٍّ متعجرفٍ وطلب منه الانصرافَ بإشارةٍ من مروحة كانت في يده.

هكذا هي عادات كثير من ساسـة أولئـك القـوم وقـادة الـرّأي فيهم، يستحسنون الكيلَ بمكيالين كلّما كـان للأمـر علاقـة بقضـايانا. ففي بلادهم يحرصون على ديمقراطيّـة شـفّافة يـمارسُ فيهـا البرلمـانيّ دوره كاملا في الرّقابة على الحكومة وسنّ ما يخدمُ البلادَ من قوانين.

وفي بلادنا يستكثرون علينا قيام مجموعـة غيـورة مـن البرلمـانيّين بالسّعي لإصدار قانون يضعُ الفترةَ الاسـتعماريّة في سـياقها المناسـب، ويرفعُ الحرجَ عن عدّة أجيال جزائريّـة ويخلّصـها مـن تقريـع التّـاريخ والأجيال القادمة..!!

وسنّ هذا القانون هو أشبه بفرض الكفاية، إذا قام به البعضُ سقط عن الباقين.

وهذا ما أرادته تلك المجموعةُ البرلمانيّة الجزائريّة عندما تحمّلت العبءَ عن البقيّة وعرّضت نفسَها للسّهام دون غيرها.

يقول المثلُ الشائع: إذا عُرف السّبب بَطُلَ العجب، وفي الحالة الفرنسيّة الراهنة يحدثُ العكس، فعندما يُعرفُ السّبَبُ يزيدُ العجبُ وتتوسّعُ دائرةُ الدّهشة والاستغراب من النّظرة الأحادية الأنانيّة الخاليّة من أيّ اعتبار للطّرف الآخر.

فأحدهم (نائب فرنسيّ يمينيّ) يقول إنّ القانون "إهانة للأقدام السّود الذّين عاشوا وسط الشّعب الجزائري حتىّ 1962، ولكلّ الذّين قدّموا خدمات بالجزائر تحت ألوان العلم الفرنسيّ ولِلْحَرْكَى والعسكريّين المحترفين الذّين يشعرون بالاحتقار والذّين نُهِينُهُم مرة أخرى"..!!

فعلاً إنّها قمّةُ الاستفزاز والمغالطة.. فالأصل والحقّ أنّ الطّرفَ الذّي تعرّض للظّلم والقهر والمجاعات والأوبئة هو الذّي ينبغي أن

يشعرَ بالإهانة من قانون فيفري الممجّد للاستعمار، ومن استنكار النّواب الفرنسيّين لأيّ مساعي برلمانية جزائريّة في السّبيل المعاكس.

يشعرُ بالإهانة لأنّه يدركُ، كما يدركُ غيره من شرفاء العالَم، أنّ الأقدامَ السُّود هم شذّاذُ آفاقٍ استولوا على الأراضي بدعمٍ من الجيش الفرنسيّ المحتلّ، وساموا الأهالي سوء العذاب، والحَرْكَى هم خونةٌ ويحقُّ لكلِّ بلد وشعب أن يتصرّفَ معهم بما تمليه المصلحة الوطنيّة، والعسكريّين المحترفين هم أولئك الذّين احترفوا القتلَ والدّمارَ ونفّذوا سياسةَ الأرض المحروقة وتهجير الأهالي.

يقول أحد الوزراء الفرنسيّين: "لا ينبغي أن ننسى الاستعمار، ولا مرحلة ما بعد الاستعمار، لكن ينبغي أن نتجاوزَ هذه المسألة". والسّؤال كيف نتجاوزها..؟؟

ففرنسا لم تكتف بالسّكوت وغضّ الطّرف عن الفترة الاستعماريّة، ولم تبادرْ طوال قرابة نصف قرن من الاستقلال بأيّ خطواتٍ في إطار تسويّة الملفّات العالقة، بل بادرت بسنّ القانون الممجّد للاستعمار، وظلّت، في أكثر من مناسبة، تكرّمُ الفئةَ التّي وقفت ضدّ شعبها..!!

ربّما نتجاوزها إذا رضينا بالهوان وصُمْنَا عـن الكـلام إلى الأبـد. وهذا ما لا يمكن أن يحدث.

إنّ مساعي سنّ قانون يجرّمُ الفترةَ الاستعماريّة يجعـلُ العلاقـات الفرنسيّة الجزائريّة على مفـترق طـرق حقيقـيّ إذا أحسـن المخلصـون اسـتغلالَ الفرصـةِ والتّحـرّك بحكمـةٍ وجسـارةٍ للوصـول إلى حُلُـمِ الجماهير العريضة:

علاقة متوازنـة تنتهـي فيهـا مخلّفـات العقـود الماضـيّة، ويختفـي الاستعلاءُ والتّكبّرُ الفرنسيّ الذّي كان يُقابَلُ بعقدةِ نقصٍ عنـد بعـض الرّسميّين في بلادنا.. **وعقدة الـنّقص هـي علّـة العلـل في العلاقـات الدّوليّة خاصّة إذا كانت بين الشّمال والجنوب.**

إنّ الواجبَ الوطنيَّ يدعو الجميـع إلى التّعـاون الجـادّ مـن أجـل إصدار القانون المُجَرِّم للاستعمار، ولعلّ في الاستفزازات التّي أطلقهـا برنار كوشنير، وزير الخارجيّة الفرنسيّ، دافعًا قويًّا للمضيّ قُدُمًا في هذا الشّأن، خاصّة بالنّسبة للسّلطة التّنفيذيّة.

قـال الرّجـلُ إنّ برمجـة المقـترح ليسـت مؤكّـدة لأنّ الحكومـة الجزائريّة هي التّي تتحكّمُ في هذا الموضوع حصريًّا، على حـدّ تعبـيره. ولا يخفى تعريضُ الوزيرِ بِدَوْرِ الحكومة وإشـارته الخفيّـة إلى أنّهـا لـن تكون في صفّ القانون..؟؟

بل إنّه تجاوزَ الحدودَ أكثر عندما تحدّثَ باسم الجزائريّين متسـائلا إن كان من الضّروريّ أن يكون لفرنسا ردّ فعل من الآن عـلى مشـروعٍ يوجـدُ في مرحلـةِ التّفكـير، ولا يحظـى بـأيّ دعـم مـن طـرف الجزائريّين..؟؟

2010-02-13

الْـمَخَازِنُ بِخَيْرٍ سَيّد كُوشْنِير

لا يمكنُ للعلاقات بين فرنسا والجزائر أن تستوي إلاّ برحيل جيل الثّورة الذّي لا يزالُ في سدّة الحكم.. عبارةٌ استفزازيّةٌ صدرت عن وزير الخارجيّة الفرنسيّ مؤخّرا.. ومع أنّها عبّرت عن قلقٍ حقيقيّ، فقد أظهرت مرّة أخرى أنّ تقديراتِ القوم في الضّفة الأخرى ما زالت على عداوتها شبه الأبديّة مع المنطق والعقل وحقائق الدّين والتّاريخ والجغرافيا.

رؤيةُ وزير خارجيّـة فرنسـا برنـار كوشـنير لمسـتقبل العلاقـات الفرنسيّة الجزائريّة حملت، دون شكّ، إساءةً لبلادنا ورموزها وثورتهـا العظيمة ووجّهت إهانةً مباشرةً لِجـيلِيْ الثّـورة والاسـتقلال عـلى حـدّ سواء...

لكنّهـا حملـتْ في المقابـلِ إسـاءةً مضـاعفةً للفرنسـيّين أنفسـهم، خاصّة إذا كانت أغلبيّتُهم راضيةً عـن هـذا (الكوشـنير) وأمثالـه مـن الفولكلوريّين الذّين يتحفوننـا، بمناسـبة ودون مناسـبة، بتصرـيحاتهم الاستعراضيّة الخاليّة من أيّ طعمٍ أو لونٍ أو رائحة..!

وإساءةُ الوزير الفرنسيّ لِبَنِي جلدتـه تكمـنُ في إطـلاق أحكامـه من خلال تلك الخلفيّة الثّقافيّة، والخلطة العقليّة التّـي تسـودُ المجتمـع الفرنسيّ وأشباهه من المجتمعات الغربيّة؛

وتحديدا تلك المفاهيم الحياتيّة التّي اعتنقوها في الدّورة الحضـاريّة التّي يعيشونها حاليا؛

وأكثر تحديدا قضايا النّسب والأصل التّـي لم تعـد تشـكّلُ وزنًـا كبيرا في معادلة الحياة الاجتماعيّة الغربيّة المعاصرة..!!

وهكذا يكون من العاديّ جدًّا عنـد القـوم أن لا يعـرفَ الرّجـلُ جَدَّه المباشر ولا يفكّرُ في ذلك، أمّا معرفـة أجـداد الأجـداد فصـارت عندهم من قبيل فروض الكفاية التّي إذا قام بها البعضُ سـقطت عـن الباقين.. ولا يعدّون ذلك عيبًا أو تقصيرًا، فالحياةُ عند الكثيرين مـنهم هي ما نراه من زخارف المدنيّة المعاصرة.

ذلك هو شأنهم بطبيعة الحال، وربّما كـانوا في قمّـة السّـعادة مـع أحوال ذاكرتهم التّي ارتضوها لأنفسهم، وربّما يكون أحدهم في غايـة الانسجام مـن خـلال طريقـة التّفكـير تلـك، والعـيش دون جـذور ضاربة في العمق، ولهـم كـلُّ الحـقّ في أن يتّبعـوا مـن أسـاليب الحيـاة وأنماط التّعامل ما يرونه مناسبا...

لكـنَّ الخطـأَ، بـل الجريمـة، أن يسـعوا إلى تطبيـق ذلـك عـلى الآخرين، والسّذاجة كلّ السّذاجة أن يتوهّموا أنّ غيرهم على مـذهبهم في هذا السّبيل، وأنّ جميعَ النّاس يمكـنهم التّعـايشَ مـع حيـاة الفـراغ الاجتماعيّ تلك، وبالتّـالي القطيعـة مـع المـاضي القريـب فضـلا عـن البعيد، لتبدأ مـن هنـاك رحلـة التّفـريط في الحقـوق ونسـيان جـرائم وإساءات الأعداء مجّانًا كما توهّمَ برنار كوشنير.

لقد حاول نابليون بونابرت، أثناء غزوه للمشرق العربيّ خلال العامين الأخيرين من القرن الثّامن عشر، فَهْمَ عقليّةَ أهل الشّرق وثقافتهم وطرائق تفكيرهم، ولا أدري هل تحقّق له ذلك الهدف، لكنّه عجز عن توريث فهمه لمن جاء بعده..؟؟

أم أنّ السّاسةَ الفرنسيّين المعاصرين وأساتذتهم الأقربين لم يعطوا الأمرَ أهميّةً كافيةً ولم يجتهدوا في تحصيل الدّروس، حتّى لا نضطرّ إلى ترديد القول المتداول الذّي مفاده أنّ الاستعمارَ تلميذٌ غبيّ.

إنّ أجيالنا الجديدة في العالم العربيّ ما زالت تتحدّثُ عن دمارِ بغداد عاصمة الخلافة على يد الغزاة التّتار عام 1285م، وتتحدّثُ عن الإبادةِ التّي تعرّض لها المسلمون في الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة عام 1492م، وما تبعها من مآسي كابدها الفارّون بأرواحهم من الأندلس إلى سواحل الجزائر، ويتحدّثُ الجزائريّون حتّى الآن عن الأيّام الأولى لغزو الجيوش الفرنسيّة لشواطئ بلادنا، ويتداولون أمجادَ الثّورات التّي اندلعت في كاملِ أرجاء الوطن، ويتناقلون بحزنٍ شديدٍ أخبارَ تلك المذابح التّي ارتكبها الفرنسيّون والمجاعات التّي تسبّبوا فيها، وأصناف الممارسات الإجراميّة التّي اقترفوها في حقّ الأرض والإنسان.

إنّ أجيالنا الجديدة في الجزائر تتمتّعُ بمخازن ذاكرة قويّـة فهـي لا تزالُ تقرأُ وتسمعُ عن تفاصيل ما حـدث سـنوات الاحـتلال الأولى، فكيف لها أن تغفلَ عمّا حدثَ مع اندلاع ثورة نوفمبر.؟؟

وكيف لها أن تمسحَ من ذاكرتها ما سَمِعَتْه مـن الآبـاء والأجـداد عن ويلات الاستعمار وأهوال لياليه الطّويلة..؟؟

ومِنْ هناك يتأكّدُ دون أيّ مجالٍ للشكّ أنّ مراهنةَ الوزير الفرنسيّ على رحيل جيل الثّورة خاسرةٌ مـن الأسـاس، خاصّـة أنّ كثـيرا مـن الكوادر الإعلاميّة والأقلام الصحفيّة والوجـوه الثّقافيـة التّـي تحـرّكُ قضايا الذّاكرة الآن تنتمي إلى جيل الاستقلال.

لقد ردّ المسؤولون المعنيّون، والجميع معنيّ، على الـوزير الفرنسـيّ بالتّأكيد على أنّ: "سيادة بلد ما لا تتجزّأُ ولا تقومُ على جيلٍ واحـد" وأنّ "السّيادة الوطنيّة قضيّة كلّ الأجيال".. وتوالت وستتوالى الرّدود...

ومع ذلك فإنّ الحذرَ مطلوبٌ وحسن التّدبير يـدعو مـن بيـدهم الحَلّ والعَقد إلى التّساؤل بجدّ إن كان الرّجلُ الفرنسـيُّ قـد اعتمـدَ في استشرافه المستقبليّ على شيءٍ من الحقائق والأرقـام التّـي وصـلته مـن خلال (قلعته المنيعة) في الجزائر والمتعاونين معهـا، وبعـض مزدوجـيْ

الجنسيّة وعدد من إطاراتنا ومسؤولينا الذّين لا يعرفـون عنـوان العـالَم المتحضّر إلا من خلال الوجهة الباريسيّة، ومجموعة من الذّين لا زالـوا يقدّسون لغةَ فولتير في بلادٍ يُفترضُ أنّ السّيادةَ اللّغويّـةَ فيهـا محسـومةٌ لِلُغَةِ الضّاد منذ أمدٍ بعيد..؟؟

ينبغي أن يزولَ الغموضُ لنعرفَ إن كان في كلامِ الرّجلِ بعـض ما يعتبره حقائق، أم أنّه يَهْرِفُ بما لا يعرف..؟

نعم إنّنا مطمئنّون إلى الرّصيد الكبير الذّي تملكه الجزائر من خلال خرّيجي المدرسة الوطنيّة ومناهج عقود الاستقلال، لكنّ الهزيمةَ تأتي في كثير من الأحيان من ثغرةٍ واحدةٍ عندما لا يُلقي لها أحدٌ بَالاً.

ومن هناك تتضاعفُ الواجباتُ وتزدادُ المسؤولياتُ على الجميـع من أجلِ تعبيد الطّريق حتّى يصلَ شبابُنا إلى حبّ حقيقيّ لوطنهم.

حبٌّ يجمـعُ بـين الاعتـزاز بالتّـاريخ المشـرق المـزدحم بصـورّ البطولات والأمجاد، والحاضر المزدهر الذّي يمتزجُ فيه العيشُ الكريمُ مع المواطنة الحقيقيّة الكاملة.

2010-02-27

فُرْصَةٌ تَارِيخِيَّة

تخيّمُ علينا الذّكرى الـ 65 لمذابح الثّامن من مَايْ عام 1945 الرّهيبة، وتعودُ إلى الذّاكرةِ الجَمْعِيّةِ صورُ المجازرِ الدّامية لخمسةٍ وأربعين ألف شهيد خلال ثلاثة أيّام لا أكثر، وفي المقابل يعضُّ الفرنسيّون الرّسميّون بأسنانهم على مواقفهم المخزيّة في تمجيدِ جرائمهم، ويحمّلُ السّياسيّون الجزائريّون بعضَهم البعض مسؤوليةَ بُطْءِ مسارِ مشروع قانون تجريم الاستعمار.

ذكرى مجازر الثّامن من مَايْ في سْـطِيفْ وقَالْمَـة وخَرَّاطَـة تعـودُ إلينا من جديد كلّ عام، لكنّ مرارةَ طعمها مركّزةٌ أكثـر هـذه المـرّة، أو هكذا ينبغي أن يكون الحال؛

لأنّها تتزامنُ مـع تصـاعد الجـدل الـدّائر منـذ فـترة حـول حـقّ الجزائريّ في الحصول على اعتذارٍ فرنسيٍّ رسميٍّ وهو أضعفُ الإيمان، وأكثر من ذلك حقّه في أن يرى بقايا مجرمـي الحـرب وهـم يتجرّعـون ذلّ الوقوفِ أمام المحاكم، أو يسمعَ أخبار ملاحقـاتهم وهـم يتـوارون عن الأنظار فزعًا، ليقضوا ما بَقِيَ من أعمارهم كالخفافيش لا يظهـرون إلا لماما، ولا يعرفون للطمأنينة طعمًا ولا لونًا ولا رائحة.

ثمّ يأتي حقّ الجزائريّ في كشف النّقـاب عـن كثـير مـن مجاهيـل معادلة التّجارب النّوويّة في الصّحراء الجزائريّة قُبيل وبعد الاستقلال، ومن هناك تنطلقُ عمليّاتُ معالجة مـا أمكـن مـن آثـار تلـك الكارثـة الصّحيّة والبيئيّة التّي يعاني منها السّكان المحليّون حتّى الآن.

لعلّ الأملَ يراودُ الكثيرين في أن تُمثِّلَ هذه الذّكرى الأليمة دافعًـا قويًّا لجميع الأطراف ذات الصّلة لتجدّدَ العهدَ، وتُضَـاعِفَ جهودَهـا وتنسّقَ بين فعالياتها لإخـراج مشـروع قـانون تجـريم الاسـتعمار مـن

الأدراج إلى الواجهة، والشّروع في الخطوات اللاّزمة لإقراره من خلال الشّكليات المطلوبة، ومن هناك يتحوّل إلى ورقةٍ قويّةٍ في يد الجانب الجزائريّ يشهرُها في وجه ورثة الاستعمار ويطالبهم بالخضوع التّام لما يُمليه العقلُ والحقُّ في مثل حالتنا، وما وقع بيننا وبين أولئك الغزاة الذّين وفدوا على بلادنا من وراء البحار.

لقد تباينت مواقفُ أطرافٍ عديدةٍ حول مشروع قانون تجريم الاستعمار، فَمِنْ قائلٍ إنّه شأنٌ برلمانيّ، وَمِنْ مُصَرِّحٍ بأنّه لم يُسْتَشَرْ في الأمر، وأنّ الجهةَ التّي اقترحت ونادتْ في البداية هي المخوّلةُ بإعادة التّفعيل والطَّرْقِ على الحديد وهو ساخن، وَمِنْ رامٍ للكرة في جهةِ السّلطة التّنفيذيّة خاصّة أنّها استنفذت المدّةَ القانونيّةَ للردّ على مقترحِ المشروع، وأكثر من ذلك تحدّثَ البعضُ عن الأولويّات واعتبروا مشروعَ القانون تشويشًا على القضايا المحوريّة وعلى رأسها محاربة الفساد والرّشوة..؟؟

وربّما كان لِجَمِيعِ تلك الأطراف الحقّ في الاختلاف، وحتّى الخصام والتّنابز لو كان في الأمر متّسع من الوقت وفسحة من مساحات التّباين ووجهات النّظر، لكنّ الأمرَ محسومٌ ولا يحتملُ إلاّ

وجهًا واحدًا لا خلاف عليه، وهو أنّ مظلومًا يطلبُ حقَّه من ظالمٍ متغطرسٍ ليطوي الجميعُ ملفًّا مؤرّقًا، وتنطلقُ الأجيالُ الصّاعدةُ إلى مرحلة جديدة من التّعاون المتكافئ والعلاقات الندّية المبنيّة على الاحترام وتقدير الآخر وخصوصيّاته الثّقافيّة والتّاريخيّة.

إنّ المطلوبَ من الجميع هذه الأيّام لاَ يَعْدُو تجاوزَ الخلافات السّياسيّة والحساسيّات الحزبيّة والحسابات الضيّقة، والانطلاق من هناك نحو اقتناص هذه الفرصة التّاريخيّة والضّغط باتجاه المزيد من التّقدم في هذا المشروع، لأنّ إقراره سيمثّل البدايةَ الصّحيحة، أو بالأحرى تصحيحًا لجملةِ أخطاء واكبتْ مسيرةَ الاستقلال عبر كلّ هذه السّنوات الطويلة..!

أخطاءٌ وقعت فيها أيادي وأرجل وأقلام رجال لا زال بعضهم في صدارة الأحداث ومواقع القرار السّياسيّ، وبالتّالي هي فرصتهم، التّي قد لا تتكرّر، للتّخلص من خطايا الماضي وتسليم المشعل نظيفًا عفيفًا للأجيال الصّاعدة، والنّجاة بالتّالي من أحكام التّاريخ الذّي لن يرحم أحدًا وإن بدا اليوم محايدا أو مجرّد مراقبٍ من بعيد.

إنّ فرنسا، أيّها السّادة المتربّعون على عروش السّياسة، لم تجثم على صدورنا قرنًا وثلثَ قرنٍ فقط بل واصلت ذلك بعد سنوات الاستقلال أيضا عبر أكثر من طريقة، ومن خلال ذلك المكر الاستعماريّ الذّي أبقى على مفاتيح كثير من المداخل والمخارج الجزائريّة بين يديه، وأدارها في الوقت والمكان المناسب، وراحَ يؤمّنُ من خلالها مصالحَه ويقوّي بها نفوذَه الاقتصاديّ والثّقافيّ، وحتّى السّياسيّ بين ظهراني أبناء جزائر الاستقلال وثورة المليون ونصف المليون شهيد..؟

إنّ الخلافات الرّسميّة الجزائريّة الفرنسيّة التّي طغتْ على السّاحة السّياسيّة في الآونة الأخيرة تؤشّرُ إلى تصلّب مواقف جهات ثقيلة في المعادلة الجزائريّة، وهي عاملٌ مساعدٌ لأصحاب مشروع قانون تجريم الاستعمار لا ينبغي الغفلةَ عنه، خاصّة أنّ القومَ هناك في الإيليزي ومحيطه ما زالوا في غيّهم يرفلون، وضمن أوهام الاستعلاء والعظمة ينامون ويستيقظون، ولعلّ آخر استفزازاتهم تلك الحملة التّي أعلنوها ضدّ عملٍ فنّيٍ وجدَ نفسه، بفضل الشّكل والمضمون، ضمن الأفلام المرشّحة لمهرجان (كَانْ) السّينمائيّ.

إنّه فيلم (خارجون على القانون) للمخرج الفرنسيّ الجزائريّ رشيد بوشارب، وسببُ الحملة المغرضة هو ذلك المضمون الذّي يدينُ الاستعمارَ وجرائمَه البشعةَ في الجزائر.

إنّها فرصةٌ تاريخيةٌ لأبناء الجزائر.. وليكنْ موعدُنا ذكرى الاستقلال القادمة حتّى تكون الفرحةُ مضاعفةً: **فرحةٌ بجلاء الاستعمار وأخرى بالطّلاق البائن بيننا وبين الهوان النّفسيّ- الدّاخليّ والضّعف والفُرقة.**

والإعلان بالتّالي أمام العالَم أجمع عن قانون تجريم الاستعمار وملاحقة مجرمي الحرب ومنتهكي الحقوق وكرامة الإنسان، وردّ الاعتبار لشهداء الثّامن من ماي وجميع الضّحايا الجزائريّين الذّين أُزهقتْ أرواحُهم جرّاء المذابح المنظّمة أو المجاعات والأوبئة المدبّرة.

إنّها فرصةٌ ذهبيّةٌ بين أيدينا هذه الأيّام، واغتنامُها واجبٌ وطنيٌّ يشملُ الجميع.

2010-05-08

الرَّدُّ بِالْمِثْلِ.. أَضْعَفُ الْإِيمَان

وقف المراهقُ دون أن يسلّمَ على الشّيخ ولوّحَ بورقةٍ نقديّةٍ في يديه مشيرا إلى رغبته في الحصولِ على فَكّة، ولمّا تلكّأَ الشّيخُ بعض الوقت لِضَعْفِ بَصَرِه صاحَ في وجهه بما يريدُ ثمّ انصرفَ دون تحيّةٍ أو شكرٍ بعد أن خابَ سعيُه في الحصولِ على مبتغاه. وعندما هممتُ بمناداته لِلَفْتِ نظره أشارَ الشّيخُ عليَّ بِتَرْكِ الأمرِ فهو يعرفُ صَلَفَه وطيشَه لأنّه صبيٌّ جاره الحانوتيّ.

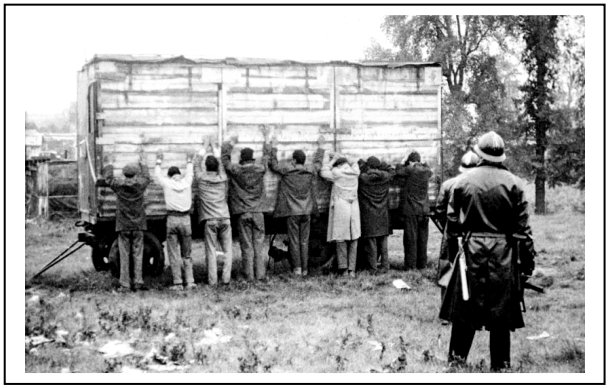

كان الشّيخُ المذكورُ من رجال التّربية والتّعليم المتقاعدين، وكعادة الكثيرين من هذه الفئة دأبَ على شغلِ بعضِ وقته في محلٍّ يقدمُ خدمات الهاتف وتصوير الوثائق وما شابه ذلك.

وكان مع الشّيخِ شيخٌ آخر يقاربُه سنًّا، ويشاركُه في تقاعده من قطاع التّعليم وتدريس اللّغة العربيّة عشرات السّنين، والعمل على ترسيخها لدى أجيال الاستقلال المتعاقبة.

علّقَ الشّيخُ الزّائرُ على وضعِ الجيل الجديد وتأسّفَ على انتشار ظاهرةِ اللاّمبالاة بالكبار وعدم الاستماع إليهم، بل والإساءة إليهم، وتذكّرَ بحسرةٍ أيّامَ صباه وشبابه وكيف كان احترام الكبير، مهما كان هذا الكبير، دِينًا للصّغار يتعلّمونه مثل الصّلاة ويحفظونه مثل آيات القرآن، ولِمَا لا يفعلون ذلك والدّين في أساسه أخلاقٌ وفضائل وعلاقات اجتماعيّة طيّبة يوقّرُ فيها الصغيرُ الكبيرَ ويعطفُ فيها الكبيرُ على الصّغيرِ في تناغمٍ وانسجام جميل.

ورغبة منّي في بثّ بعض التّفاؤل بادرتُ إلى سؤال الشّيخ الزّائر عن شباب منطقته أو حيّه واهتمامهم بتجربته التّعليميّة الطّويلة وتدارسها معه، والاستماع إلى حكايات خبراته وتجاربه ومشاهداته

خلال العقود الماضيّة، خاصّة ما تعلّق منها بسنوات الاستعمار السّوداء وما عاناه الشّعب الجزائريّ من ويلات ومآسي ما زالت آثارها بادية على البشر والشّجر والحجر، وحتّى على تراب الصّحراء الطّاهر الذّي لوّثته التّجاربُ النّوويّة الفرنسيّة..؟

تحسّرَ الرَّجلُ كثيرا وتأسّف من جديد على جيلٍ يطاردُ السّخافاتِ والأوهام ويغفلُ عن تاريخ ثورته وبلاده، وراحَ يحكي عن منطقته بني ورتيلان بالشّرق الجزائريّ والأهوال التّي عاشتها أثناء الثّورة التّحريريّة، وقال إنّه تعرّضَ للسّجن لدى الفرنسيّين ولم يتجاوز السّادسة عشر من عمره، ورأى هناك أصنافًا من العذاب والإهانات، وشاهدَ بأمّ عينيه في السّجون رجالاً بشواربهم وهيبتهم وثقافتهم العربيّة والفرنسيّة العاليّة... شاهدَهم وهم يُجرّدون من ثيابهم ويُعلّقون كما تُعلّقُ الخرافُ في المسالخ..!!

فارقتُ الشَّيْخَيْن بعد أن وعدتهما بالكتابة أكثر وأكثر في المواضيع ذات الصّلة بالذّاكرة الوطنيّة وتاريخنا الطّويل المشحون بصور البطولة والكفاح ضدّ الاستعمار الغاشم، وتنوير الأجيال الجديدة بضرورة وأهميّة الارتباط الإيجابيّ بالماضي والإصرار على الهويّة، حتّى تَسْلَمَ

السَّفينةُ من الغرق في بحر العولمة المتلاطم الذّي يريد أن يجعلنا نُسخًا غير واضحة المعالم لثقافات وأمم أخرى.

دخلتُ البيتَ ولا زلتُ أفكّرُ في كلام ذلك الشّيخ وبشاعة الاستعمار ومظالمه في حقّ الشّعب الجزائريّ، وربّما فعل (قانون الجذب) فعلَه فحين بدأتُ بتصفّح جريدة يوميّة وقعتْ عيني مباشرة على عنوان مثير مفاده أنّ حكومتنا (الرّشيدة) رفضتْ مقترحَ قانون تجريم الاستعمار، ولها في ذلك مبرّرات تراها وجيهةً من بينها فراغٌ في قانون العقوبات الجزائريّ، ومواد في اتفاقيّة إيفيان..!!

ويمضي محرّرُ الخبر في التّفاصيل حين يوضّحُ نقلا عن مصادر الحكومة، على ما يبدو، فيقول إنّ (أوّل السّببيْن أنّ التّرسانةَ القانونيّةَ الجزائريّةَ في الشّقّ المتعلّق بقانون العقوبات تحديدا لا تنصُّ في ديباجته، ولا في أيّ مادّة من مواده الخاصّة بمجالات تطبيقه، على إمكانيّة معاقبة الجنح والجرائم المرتكبة خلال حقبة الاحتلال الفرنسيّ للجزائر، والثّاني أنّ اتفاقيّة إيفيان، التّي جاءت بعد مفاوضات مضنيّة بين الجزائر ممثلةً في الحكومة المؤقّتة والسّلطات الاستعماريّة الفرنسيّة، نصّتْ بصريحِ العبارةِ على عفوٍ عام مسحَ "ذنوب" مرتكبي

التّجاوزات من الطّرفين، وبالتّالي لا يحقّ لأيّ جهةٍ تحريك خيوط هذا الملفّ في أيّ وقت من الأوقات.. ولأنّ الاتّفاقيّات الثّنائيّة أو تلك التّي تُوصف بأنّ لها طابعا دوليًّا تسمو على القوانين الدّاخلية، فإنّه لا يجوز لأيّ طرفٍ الإخلالَ بها ولا سنّ أيّ قانون ينقص من تأثيرها أو يحدّ من مجالات تطبيقها).

الحكومةُ إذن تريد توفيرَ الجهود، وهكذا مالت إلى تجنّب سنّ تشريعٍ لن يعرفَ التّطبيقَ لأنّه يتناقضُ مع القوانين المحليّة والأعراف المعمول بها في التّعامل مع الاتّفاقيّات الدّولية، كما أنّ الحكومةَ ترفضُ (المزايدة والتّوظيف السّياسويّ) لمثل هذه الملفّات الوطنيّة الحسّاسة، وأكثر من ذلك هي براغماتيّة وواقعيّة وتدركُ تشعّبَ مسارات العلاقات الفرنسيّة الجزائريّة وتأثير قانون تجريم الاستعمار في هذا المضمار، وحجم الزّلزال الذّي قد يحدثه على جميع الأصعدة..!!!

ولأنّ الأصلَ في الآخرين هو الصّدق حتّى يثبت العكس، فدعونا نعتبرُ ردَّ الحكومة اجتهادا مشكورا مأجورا، فإذا أثبتت الأيّامُ صوابَه فقد نالت أجريْن اثنيْن، وإذا أبانتْ عن خلاف ذلك فلا أقلّ من أجر الاجتهاد وعفا الله عمّا سلف..؟؟

لكن.. دعونا نبادرُ إلى التّصرّف على غرار الكثير من الشّعوب والبرلمانات الواعيّة النّاضجة عندما تدعُ للحكومات مجالاتٍ من الحركة والمناورة لتحقيق بعض المكاسب وربح الوقت، ثمّ تدفعها أمام العالَم، وبشكل ديمقراطيّ، لسلوك طريق المصلحة الوطنيّة فقط.

دعوا الحكومةَ وشأنها وحساباتها وتحرّكوا يا أصحاب المقترح، ومن شايعهم، وابحثوا عن صيغ جديدة واستعدّوا لمعركة كرّ وفرّ لا سلاح لكم فيها سوى المرونة والذّكاء والابتعاد عن فخّ الجدل القانونيّ والصيّاغات اللّفظيّة، والتّركيز دائما على أنّنا أصحابُ حقٍّ لا أكثر ولا أقلّ.

وإذا كان أصحابُ الضّفة الأخرى قد أساءوا الأدب وأصدروا قانونًا يمجّد الاستعمار، أفلا يكون من أبسط حقوقنا التّحلّي بالجرأة والردّ بالمثل عبر قانون يجرّم الاستعمار..؟؟

وهو أضعفُ الإيمان.

2010-07-24

بَعْدَ نُوفَمْبَر.. عامُ المُحَاكِمِ الشَّعْبِيَّة

أمام عمليّات الحرقِ والقتلِ العشوائيّ فَرَّ الكثيرون إلى أحد الجبال واحتموا هناك بغارٍ كبيرٍ حيث احتشدَ فيه قرابةُ ألف فرد من الرّجال والنّساء والأطفال والشّيوخ مع ما وصل من مواشيهم وحيواناتهم.. لكنّ معاناةَ التّشرّدِ والفزعِ والظّلامِ في داخل الغار لم تكن كافيةً بالنّسبة للقوّات الفرنسيّة، التّي تحملُ رسالةَ المدنيّة والحضارة للجزائريّين..!! فحاصرتِ الغارَ من كلّ الجهاتِ وطالبتِ الأهالي بالاستسلام.

كان المُحاصَرون من قبيلة واحدة ويعرفون من تجارب سابقة أنّ الاستسلامَ لا يغني من الموت شيئا، لأنّ عمليّات الإبادة الجماعيّة وتفريغ القرى والأراضي الزّراعية من أهلها كانت سياسةً رسميةً خاصّة خلال العقود الأولى من دخول المستعمر الفرنسيّ أرض الجزائر..!!

وهكذا رفضَ هؤلاء الأبرياء التّجاوبَ مع دعوات الاستسلام فما كان من قائد القوّات الفرنسيّة الغازيّة إلاّ أن أمر بتكديس كميّة كبيرة من الحطب أمام مدخل الغار، ثمّ أضرم النّار فيها فهلكَ الأبرياءُ وحيواناتُهم اختناقا..!!

إنّها جريمةٌ واحدةٌ من آلاف الجرائم التّي حدثت في الجزائر، وروى فظائعَها القادةُ الفرنسيّون أنفسهم في مذكّراتهم، فضلا عن غيرهم من المؤرّخين الفرنسيّين المنصفين.

جرائمُ يندى لها جبينُ الإنسانيّة، ويجدُ العقلُ السّويُّ صعوبةً في تفسيرها لأنّه لا يصدّق أنّ بني البشر يمكن أن يتحوّلوا إلى وحوشٍ كاسرةٍ وطيورٍ جارحةٍ بكلّ ما لهذه الكلمات من معاني وظلال..!!

الغريبُ في الأمر أنّ العمليةَ سالفةَ الذّكر وصلت إلى مسامع الكبار في باريس، عاصمة النّور والأدب والرّومانسيّة، ولم تكدّر صفوَهم أو تحرّك فيهم مشاعرَ الرّحمة والإنسانيّة..؟؟

والأغرب أنّ الجنرال بيجو الحاكم الفرنسيّ العام للجزائر في تلك الأثناء قد نالَ مكافأةً معنويّةً كبيرةً تمثّلت في مرتبة (عصا الماريشاليّة) بعد الإنجازات التّي حقّقها في عمليّة الإبادة الوحشيّة التّي شهدها الغارُ المذكور، وغيرها من العمليّات في مختلف مناطق الجزائر..!!

إنّ أشكالَ وألوانَ الإجرام التّي أقدمَ عليها الجنودُ الفرنسيّون لن تخطرَ على قلب شيطان مارد مهما كان بارعا في فنون الشّيطنة، ولا غرابة في ذلك فشياطينُ الإنس كثيرا ما تفوّقوا على شياطين الجنّ..!!

يقولُ أحد القادة الفرنسيّين وهو يصفُ التّخطيطَ المسبق لعمليات الإبادة إنّ (إجراءات صارمة تُتخذ للإطاحة بالقبيلة المنوي تدميرها بقوّات كبيرة، بحيث يكون الهربُ مستحيلا لأيّ مخلوق، والسّكان الآمنون لا يدركون الخطر المحدق بهم إلا عندما يسمعون قرع الطّبول التّي تضرب نغمة مؤذية للسّمع، وبعد ذلك تحدثُ المفاجأة التّي لا يوجد لها مثيل إلا فيما نعرفه من قصص إبادة الهنود الحمر)..!!!

ويعترفُ قائد فرنسيٌّ آخر بأنّ جنودَه أحضروا برميلا مملوءا بالآذان التّي قطعوها من الأحياء والأموات..!!!

فكيف أقنعوا الجنودَ بهذا الأمر المقزّز والوحشيّ..؟؟

كيف أقنعوهم بالتّخلّي عن إنسانيّتهم تماما..؟؟

يقال: إذا عُرف السّبب زال العجب، أمّا في هذه القصّة فسيزيدُ العجبُ إذا عُرفَ السّبب..!!!

لقد كان القادة يشجّعون جنودهم عبر إعطائهم عشرة فرنكات عن كلّ زوجٍ يحضرونه من آذان الأهالي..!!!

نعم عشرة فرنكات كافية لتحوّلَ جنديًّا إلى مسخٍ لا يمتُّ إلى الإنسانيّة بصلة ولو كانت واهية..!!!

قبيلةٌ أخرى قرب العاصمة تعرّضت للإبادة الجماعيّة في السّنوات الأولى لدخول القوات الغازيّة إلى الجزائر، فقد قُتِلَ أفرادُها في مذبحةٍ رهيبةٍ في اللّيل والنّاس نيام، والموحشُ بعد ذلك أنّ الفرسان عادوا على رماحهم بأشلاء بشريّة، والشّنيع أنّ الأموالَ المسلوبةَ التّي عُرضت في باب عَزّون بالعاصمة ظهرت فيها أساور نساء مع معاصمها المبتورة، وأقراط مع الآذان وأشلاء لحم آدميّ تتدلّى..!!!

كيف تمّ لهم ذلك..؟؟

وأيّ قلوب يحملون في صدورهم..؟؟؟

وزيادة في التّنكيل أمرتِ السّلطاتُ الفرنسيّةُ الأهالي في العاصمة بإضاءة محلاّتهم احتفالا بالنّصر المزعوم..!!

الجـرائم الفرنسـيّة تواصـلت عـلى مـدى سـنوات الاحـتلال الطّويلة، وإن اختلفت كمًّا وكيفًا وتحوّلت بعد ذلك إلى حملات تجهيـل وتجويع ومن ثمّ انتشار واسع للأمراض والأوبئة، وهكذا مـرّت عـلى الشّعب الجزائريّ فترات عصيبة جدًّا.

ثمّ جاءت الحربُ العالميّةُ الأولى ليـدفعَ الشّـعبُ دمَ أبنائـه ظلـما وقهرا، فقـد سـاق الفرنسـيّون الرّجـالَ والشّـبابَ قسـرا إلى التّجنيـد الإجباريّ وأقحموهم في حروب ونيران لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

وأطلّت الحربُ العالميّة الثّانيّة بطلعتها الكئيبـة وتكـرّرت المأسـاةُ ذاتها وأعادَ الفرنسيون استنساخ جرائمهم في حقّ الدّماء الجزائريّة، ثـمّ كانت مذابح الثّامن من مَايْ الفظيعة التّي راح ضحيّتها أكثر من خمسة وأربعين ألف مواطن أعزل.

سنوات الثّورة التّحريرية الكبرى دفع خلالها الشّعبُ الكثيرَ مـن دمه وأولاده وماله وأشـجاره، وقاسـى المناضـلون مـن أفظـع أنـواع التّعذيب على يد زبانية الاحتلال، وحتّى عندما بات الاستقلال قـاب

قوسين أو أدنى ظهرت تلك المنظّمة الإرهابيّة الفرنسيةُ لتعيثَ فسادا في الأرواح والممتلكات.

وأخيرا خرجت فرنسا.. لكنّها أعيُنَها ظلّت على الجزائر وخيراتها وصحرائها وثرواتها...!!

خرجت فرنسا عسكريًّا لكنها واصلت نسجَ خيوط المكائد، ووضعَ العصيّ في دواليب حركة الاقتصاد والسّياسة في الجزائر عبر أكثر من طريقة وطريقة..؟؟

يقول المثل: رضينا بالهمّ لكنّ الهمّ لم يرض بنا..!!

هذا هو حالنا مع فرنسا حين بادرت إلى سنّ قانون تمجيد الاستعمار مطلع عام 2005 ليفجّرَ المشاعرَ الغاضبةَ عند الأحرار من جديد ويدفعَ إلى التّساؤلِ عن المقاييس التّي تحكمُ تفكيرَ ساسة فرنسا والنّخب القريبة منهم..؟؟

هاجت البلاد وماجت وتنادت الأصواتُ بالردّ.. لكنّ حسابات الحقل ليست كحسابات البندر بالضّرورة..

أو هذا ما حدثَ مع حكومتنا لأنّ لها موازينها وتوازناتها على ما يبدو..؟؟

لكنّ عودةَ ذكرى انطلاق ثورة نوفمبر السّادسة والخمسين يعيدُ الكرةَ من جديد إلى مرمى الأحزاب السّياسيّة والمنظّمات الجماهيريّة والطّلابيّة وأطياف المجتمع المدنيّ لتثيرَ موضوعَ تجريم الاستعمار ومحاكمة رموزه من جديد.

وبعيدا عن العلاقات الحالية بين الجزائر وفرنسا وبنود اتفاقية إيفيان، وبعيدا أيضا عن أيّ حساسيّات أخرى:

ما الذّي يمنعُ مختلفَ الفعاليات غير الرّسمية من التّحرّك عبر محاكمات شعبيّة على مدى عامٍ كامل.

محاكمُ تتشكّلُ ويتحدّثُ أمامها ضحايا الفترة الاستعماريّة، أو من ينوبُ عنهم، ويتبارى المحامون في تجلية الجوانب القانونيّة للجرائم الفرنسيّة.

والمفيدُ بعد ذلك: تسجيل الوقائع بدقّة ونشرها في كتب سوف تدعم، مع ما هو موجود، جهودَ المؤرّخين والباحثين عن الحقيقة حاضرًا ومستقبلا.

2010-10-30

لَحْظَةُ تَأَمُّل

شابٌّ مثقّفٌ ومتعلّمٌ وطموح، ظلّ يعملُ عشر سنوات متواصلة في إحدى الدّول العربيّة، وكنتُ كلّما قابلتُه يصارحني برغبته في العودة إلى الجزائر وتأسيس مشروع تجاريّ، ومن ثمّ الاستقرار النّهائيّ.. انقطعت رسائلُه منذ أشهر وعندما راسلني عبر البريد الإلكترونيّ، قبل أيّام، أخبرني أنّه في بلاد الغرب حيث حصلَ على عملٍ هناك وينوي الإقامةَ الدّائمةَ بعد أن توفيّت والدتُه في الجزائر.

الأمرُ قد يبدو عاديًّا، وربّما جالَ في الخاطر أنّ الآلاف قد سلكوا الطّريق ذاته فما الجديد..؟؟

لكنّ غير العاديّ أنّ الرّسالةَ كانت مشحونةً بالغضب واليأس من أوضاع الجزائر.

ورغم أنّ الشّاب ابن مجاهد وكان دائم الانتقاد للغرب وسياساته مع بلداننا؛ فإنّه قال في رسالته: أضعتُ شبابي في تلك البلاد، ولا أريدُ أن أضيّع بقية عمري فيها، ولا أدري هل يقصدُ الجزائرَ وحدها، أم معها تلك الدّولة العربيّة التّي عمل فيها لمدّة عشر سنوات من حياته..؟

ومرّة أخرى قد يبدو الأمر عاديّا...

لكن غير العاديّ أيضا أنّ هذا الشّابَّ قد ورثَ الغضبَ واليأس من أبيه، كما تُورثُ الدُّورُ والأملاك.

وقد عرفتُ من خلال أحاديث سابقة معه كيف ورثَ هذا الأمرَ من الأب المجاهد قبل وفاته، وهي حالةٌ تلازمُ الكثير من قدماء

المجاهدين عندنا، حيث يجهرون بآراءٍ ويُبْدُون سخطَهم على أوضاعٍ وأشخاصٍ وقراراتٍ وسياسات..!

قصّةُ التّوريث بدأت عندما حصلَ الشّابُّ على شهادة الباكالوريا بمعدّلٍ يؤهّلُه لدخول مدرسةٍ عليا أو معهد أو كليّة، لا أذكر اسمها وصفتها الآن بالتّحديد.. لكنّها مشهورة ومعروفة ولا يدخلها إلاّ المحظوظون من أصحاب الواسطة القويّة وأبناء المسؤولين الكبار، أو هكذا شاع بين الطّلبة وعامّة النّاس.

ذهبَ الشّابُّ إلى تلك المؤسّسة التّعليميّة الوطنيّة المفتوحة لجميع أبناء الوطن، أو هكذا هو الشّعار المرفوع، وحاولَ جهده للحصول على حقّه الطّبيعيّ في القبول لأنَّ المعدّلَ والسنَّ مناسب، ولمّا وجدَ الأبوابَ مغلقةً في وجهه طلبَ مقابلةَ المدير أو العميد أو المسؤول، وهناك بدأت عمليّةُ التّوريث..؟؟

يقولُ الشّابُّ إنَّ ذلك الرّجل الجالس بكبرياء وراء مكتبه الفاخر سأله عن والده بعد أن لاحظ اللّقب ومكان الولادة، فأكدّ الشّابُّ أنّه ابن فلان الذّي عناه الرجل.. وانتهت المقابلة بالرّفض..!!

يقول الشّاب: طرحتُ ما حدثَ أمام والدي عندما رجعتُ إلى منطقتي، وقد حفظتُ اسمَ الرّجل المسؤول، وكان جواب الوالد: نعم أعرفه ويعرفني جيّدا وهو من منطقتنا وقد جمعتنا الأقدارُ مرّة في معركة قتاليّة واحدة أثناء الثّورة التّحريرية، لكنّ المؤسفَ أنّني كنت مع المجاهدين وكان ذلك المسؤول الرّفيع في دولة الاستقلال في الصّفّ الآخر..؟؟

أي مع القوّات الفرنسيّة.. وأردفَ الوالد: كان جميعُ أهل المنطقة يعرفون عمالَته ونشاطَه مع الجيش الفرنسيّ.

دخل الولدُ كليّةً لم تكن في مستوى طموحه، وأكملَ دراسته، وحاولَ دخولَ الحياة العمليّة، ثمّ وجدَ نفسه بعد فترة مغتربًا في دولة عربيّة...

ومرّت السّنون ومات الوالدُ بحسرته على الجزائر ودولة الاستقلال، لأنّه رأى بأمّ عينيه بعضَ عملاء الأمس يتقدّمون الصّفوف ويتأخّرُ، أو يُؤخّرُ، أولئك الشّجعان الأطهار الذيّن حملوا السّلاح ودحروا المستعمر..!!

مات الوالدُ لكنّ تلك الحسرةَ لم تُدفن معه في قبره حيث ورثها الابن، وصارتْ لازمةً في أحاديثه وتحليلاته ورؤيته لحاضر الجزائر ومستقبلها.

إنّها صورةٌ مؤلمةٌ تتكرّرُ كثيرا عبر مواطنين جزائريّين سواء كانوا داخل الوطن أو خارجه، وتدعونا جميعا إلى التّفكير مليًّا في الحالة التّي تقبعُ فيها الجزائر بعد خمسين سنة من الاستقلال، وهل تحقّقَ القدرُ الكافي من الشّفافيّة التّاريخيّة والإنصاف حتّى تستقرَّ نفوسُ كثير من المجاهدين الذّين ما زالوا على قيد الحياة، ليستقبلوا الموتَ وقلوبُهم راضية عن الجزائر التّي جاهدوا من أجلها.

إنّ العدّ التّنازليّ لذكرى العيد الذّهبيّ للاستقلال قد بدأ، وهناك جهود كبيرة تُبذلُ على جميع المستويات لأجل احتفالاتٍ عظيمةٍ تتناسبُ مع هذه المناسبة، وندركُ أنّ هناك مسؤولين وفرقَ عمل تواصلُ اللّيل بالنّهار وهم يعدّون العدّةَ عبر اختيار الألوان والأضواء واللّوحات والشّعارات والفرق الموسيقيّة، وفريق آخر يحضّرُ، وقد بدأ فعلا، عبر المؤتمرات العلميّة والتّاريخية.

ولكلّ أولئك الذّين يبذلون هذه الجهود، وغيرهم نقول: إنّنا في حاجة إلى لحظةِ تأمّلٍ حقيقيّةٍ مع الذّات، لنتساءل إن كنّا في الطّريق الصّحيح فعلا أم لا..؟؟

أين نسير، وهل نحن في مستوى التّاريخ والجغرافيا والثّروات البشريّة والماديّة.. أين نحن الآن..؟؟

هذا هو السّؤال المهمّ جدًّا..

ونتمنّى أن لا يمرّ عيدُ الاستقلال دون إجابة كافيّة شافيّة عليه، كما نتمنّى أن يحوزَ فعلاً على حصّةِ الأسِد في النّقاشات والحوارات والجلسات وغيرها، حتّى لا تكون الاحتفالاتُ مجردَ كرنفالات وفولكلور يزولُ بانتهاء الذّكرى وتفرّق الحشود وطيّ البُسط الحمراء، واستلام المتعهّدين والفنّانين وشركات الأضواء لمستحقّاتهم الماليّة.

لحظة تأمّل حقيقيّ نتساءل فيها، بعد 50 سنة من الاستقلال، عن ملفّ المجاهدين المزيّفين وفي أيّ الأدراجِ استقرَّ بعد سنواتٍ من النّسيان، وكم بلغت كميّات الغبار التّي تعلوه..؟؟

والأمرُ ذاتُه مع الأرشيف الجزائريّ الذّي ما زال محجوزا عند الفرنسيّين، وهل هناك مطالبات جادّة بإعادته ليكشفَ الحقيقة أو بعضها على الأقل، وترتاحُ كثيرٌ من النّفوس الحائرة..؟؟

ندرك جميعا أنّ تناولَ مثل هذه الملفّات مجازفة خطيرة، وقد يفتحُ أبوابًا يصعبُ غلقها، لكنّ تناوله بطريقة حكيمة وعبر صيغة تصالحيّة وتوافقيّة يحقّقُ الهدفَ ويجنّبُ البلادَ المزالق..

عفا الله عمّا سَلَف، ومن أَكَلَ أو حَكَمَ باسم الجهاد وليس مجاهدا سَامَحَه الله.

الأمر خطير ويحتاج إلى جهود حقيقيّة من البرلمان الجديد.

جهودٌ تكشفُ المستورَ عندنا وتجبرُ المستعمرَ على الاعتراف ومن ثمّ نطوي الملفَّ وننتقل إلى مرحلةٍ أخرى يتفاضلُ فيها النّاسُ بالعمل والبرامج فقط.

2012-06-02

ذِكْرَى (الْخَمْسِين) التِّي لاَ تُرِيدُهَا فَرَنْسَا

جاء في إحدى الجرائد اليوميّة الوطنيّة الخبر التّالي: تستضيفُ مدينة وَهْرَان بمناسبة الاحتفال بالذّكرى الـــ50 للاستقلال أكثر من 300 فنّان وموسيقيّ وأعضاء فرق فلكلوريّة من مختلفِ دولِ العالَم، تشاركُ في استعراضٍ كبيرٍ في شوارعها يوم الأربعاء 4 جويلية. وهي الفرقُ القادمةُ من الهند، رومانيا، إيطاليا، المغرب، تونس، انجلترا، أندونيسيا، بلجيكا، الصّين، كوت ديفوار، فرنسا، الأردن.

ويضيفُ المحرّر: .. لِتُشَكِّلَ، هذه الفرق، تسلسلاً من فنونِ 17 دولة تشاركُ سكّان وهران الاحتفالَ بعيد الاستقلال.. هذه الفرقُ ستكونُ مرفوقةً بعشرات الفِرق الفلكلوريّة الجزائريّة، التّي تقدّمُ مختلفَ الأشكال التّعبيريّة التّقليديّة، والتّي ستتقدّمها فرقةُ الخيّالةُ الوهرانيّةُ بقيادة الفارس جمال نهار.. وتُختمُ الاحتفاليّةُ في السّهرةِ بإطلاقِ ألعابٍ ناريّةٍ تعلو أكثر من 250 مترا فوق سماء المدينة.

ويواصلُ المحرِّرُ حديثه عن فنادق المدينة وامتلائها في الفترة التّي تستغرقُها الاحتفالات، والسّبب، حسبه، أنّ فنّانين كبار سيحيون الحفلات، ومنهم أسماء مثل مامي وكاظم السّاهر وخالد ونجوى كرم وغيرهم..!!

في الجريدة ذاتِها نجدُ خبرًا آخر يتحدّثُ عن رئيسِ مجلسٍ شعبيٍّ بلديٍّ في إحدى مدن الشّرق الكبيرة ولجنة الحفلات التّابعة لبلديّته، حيث أمضت هذه اللجنةُ اتفاقيّةً مع متعهّدِ حفلاتٍ جزائريّ لاستقدام الفنّانة اللبنانيّة إليسا، بعد أن رَسَتْ عليها عمليّةُ سبر الآراء التّي نظّمتها البلديّة السّنة الماضيّة عبر مراكزها الثّقافية ومكتباتها، على حدّ تعبير صاحب الخبر أو المصدر الذّي نَقَلَ عنه..!

في الخبر أيضا ردٌّ لمسؤولٍ من تلك البلديّة على وزيرة الثّقافة خليدة تومي حول صرف المال العام، ويقول صاحبُه: "إنّ متعهّد الحفلات الذّي نتعامل معه، هو نفسه الذّي أبرمنا معه اتفاقيّة استقدام الفنّانَيْن الجزائريّيْن خالد ومامي لإحياء حفلتيْهما سنتيْ 2009 و2011 مُؤَكِّدًا أنّ الاتّفاقيّةَ الأخيرةَ المبرمةَ معه بخصوص حفلة الفنّانة إليسا استغرقت شهرين لإتمام ما تتضمّنه من واجبات وحقوق كلّ طرف.. ولمتعهّد الحفلاتِ حسابًا بنكيًّا خاصًّا بمؤسّسته، وتعامُلَنَا معه يتمّ بكلّ شفافيّة، وطريقة دفعه لمستحقات الفنّانة لا تعنينا، كوننا لم نتعاقد معها مباشرة"..!

السّيّد رئيس البلديّة دَافَعَ، كما جاء في الخبر، عن هذا الحفلِ وتلك الفنّانة قائلا: "إنّ حفل إليسا ستجني اللّجنة من ورائه مداخيلَ هامّة، ستعودُ بالفائدة على البلديّة، ونحن نعملُ بكل شفافيّة في لجنة الثّقافة التّي تضم منتخبين يتمتّعون بمؤهّلاتٍ علميّة مختلفة"..!

هذا غيضٌ من فيض مما يجري من تحضيرات غنائيّة وفلكلوريّة احتفالاً بالذكرى الخمسين للاستقلال، ولا شكّ أنّ حجمَ ما ستشهده البلادُ من أدناها إلى أقصاها في هذا الإطار شيء عظيم سيحدِثُ ضجّةً كبيرةً داخليًّا وخارجيّا.

لكنّ السّؤال يدور حول نوعية هذا (الضّجيج) وهل هو المطلوب في هذه الذكرى، وهل يروقُ للمستعمر السّابق، الذّي يراقبُنا عن كثب، أم لا..؟؟

عندما نبحثُ في أرشيف أخبار الشّهور القليلة الماضية نجدُ الفرنسيّين قد استبقوا الأحداثَ على ما يبدو حيث قال دبلوماسيٌّ فرنسيٌّ، كما جاء في وكالة الصّحافة الفرنسيّة: "يجبُ تفادي النّفخَ في الجمر، في تلخيصٍ معبّرٍ عن رغبة فرنسا في التّعامل مع الذّكرى الخمسين لاتّفاقيات ايفيان واستقلال الجزائر دون ضجّة وفي أجواء تريدها أن تتّسمَ بروح الاعتدال".

ماذا تقصدُ فرنسا، وسدنةُ الاستعمار فيها، بالضجّة، وهل تقصدُ هذه الكرنفالات الغنائيّة والأضواء التّي ستعلوا سماء المدن وغيرها من المظاهر، التّي يمكن القبولُ بها في حدّها الأدنى دون إسراف وتبذير للمال العام..؟؟

أم تقصدُ الضجّةَ الحقيقيّةَ وهي إعادةُ الذّاكرةِ الجزائريّةِ إلى هناك...

أي قبل سنوات طويلة حيث بداية الاعتداء الفرنسيّ، وسلسة المآسي والمصائب التّي قاساها الشّعب الجزائري على يد المستعمرين،

وسياسات التّجهيل والحرق والتّدمير وقنابل النّابالم وغيرها خلال الحرب التّحريريّة، وحتّى مسلسلات الاستفزاز بعد الاستقلال، والمحاولات المتواصلة لاحتواء الجزائر وحشرها في المحيط الفرنسيّ ثقافيًّا واقتصاديًّا..؟؟

أسئلة محيّرة ونحن في أيّام العدّ التّنازليّ السّريع نحو الذّكرى الخمسين لاستقلال الجزائر، وجلاء المستعمر وعساكره وشّذّاذ الآفاق الذّين قدموا معه وصاروا مُلاَّكًا للأراضي وسادةً للمدن على حساب الجزائريّ صاحب الحقّ..!!!

إنّنا نقلّلُ من شأن الشّعب الجزائريّ العظيم عندما لم يجد رئيسُ تلك البلديّة، سابق الذِّكر، غير حفل إليسا ليجمع أموالا لصالح بلديته..!!

هل عقمت تلك الجهةُ الواسعةُ الغنّيّةُ عن توليد مداخيل ماليّة محترمة، فلم يجد الرّجلُ سوى تلك اللبنانيّة ليستقدمَها في عيد الاستقلال..؟؟

لا أدري إن كان أمثالُ هؤلاء المسؤولين يتابعون الانترنت ويترصّدون ردودَ أفعال القرّاء الجزائريّين...؟؟

وإذا كان رأيُ الشّعب، أو فئات منه على الأقلّ، تعنيهم، فإليهم هذه الهدّية المختصرة من تعليقات القرّاء على الخَبَرَيْن السَّابِقيْن، وقد اخترتُ المُعْتَدِلَ منها فقط وتجنّبتُ الغاضبَ والمتشدّد...

يقولُ أحدُ القرّاء: الثّقافةُ في الجزائر أصبحت مرادفةً لكلمة واحدة وهي الغناء والرّقص، اضمحلّت اللّقاءاتُ الثّقافيّةُ واندثرت النّدواتُ العلميّةُ والفكريّةُ لتتحوّلَ مناسبةٌ عظيمةٌ كَعِيدِ الاستقلال إلى ورشةٍ مفتوحةٍ لتبذيرِ المال العامّ وفضاءٍ للرّقص والفضح... لا أدري ما علاقة أغاني إليسا ونجوى كرم بعيد الاستقلال، لو كانت المناسبةُ عيد الحبّ لتفهّمناها، ولكنّها مناسبة نصف قرن على الاستقلالِ من أقسى استعمار في التّاريخ...!!!

ويقولُ آخر: كان على المسؤولين أن ينفقوا هاته الملايير على تظاهرات ثقافيّة لتذكير الشّباب بتاريخهم الذّي تركوه وراءهم وأصبحوا يلهثون وراء تفاهات "جيستن بيبر" وإليسا وغيرهم.

ويتساءلُ ثالث: **لو أحيا الله مجاهدا أو شهيدا ماذا ستكون ردّة فعله**... ورابع يكتبُ بلغةٍ مزيجٍ من الفصحى والعاميّة قائلا: "الله يرحم الشّهداء لو كان يشوفو واش راه صاير، والله يلطف بالشّباب البطّال وبالعائلات التّي تطالب بمسكن، فقط لو أموال هاته الحفلات وزّعت على الشّعب لحلّت آلاف المشاكل".

2012-06-30

حِوَارَاتُ الذَّاكِرَة.. اكْتُبْ لِأَرَاك..!!

تظلُّ الجزائر فعلا بلد العجائب والمفارقات والمفاجآت، وآخرها وفاة الرّئيس الأسبق الشّاذلي بن جديد.. وليس خروج الرّوح ودفن الجسد هو المقصود هنا؛ لأنّ ذلك قدرٌ لا يدَ فيه لأحد إلاّ لِلْوَاحِدِ الْأَحَد.. لكنّ المفارقةَ هي تلك (العشرين سنة) من حياة الظّلّ التّي اختارها الرّئيسُ (المستقيل)، أو اختيرت له، ثمّ هذه الحفاوةُ العظيمةُ بالرّجلِ وإحضاره إعلاميًّا إلى المشهدِ العام لأيّام متتالية.

في حياته كان يشتاقُ إلى حبّة تمر واحدة، فلمّا ماتَ نصبوا على قبره عرجونًا كاملاً من التّمر.. مَعْنَى مِثَالٍ من مناطق النّخيل في الجزائر، ويبدو أنّ له ما يقابله في جهات أخرى من الوطن.. والمثالُ قد ينطبق بشكل ما على الرّئيس الرّاحل الشّاذلي بن جديد، رحمه الله.

وبعد... لا حاجة على ما يبدو للخوض في فترة (صمت الحكمة) كما وصفَ البعضُ هذه السّنوات الطّويلة التّي قضاها الرّئيس الشّاذلي بن جديد بعيدا عن وسائل الإعلام إلاّ في القليل النّادر..

ولا حاجة أيضا إلى الخوض الآن في دواعي ذلك الصّمت وإن كان حكمةً فعلا أو خوفا على الجزائر من أطراف أثبتت أنّها لا (ترقبُ إلاًّ ولا ذمّة) في هذا الشّعب وثرواته وثوابته وتاريخه..؟؟

والسّبب الأوّل في عدم الخوض أنّ تربةَ الرّجل لم تجفّ بعد كما يقال.

أمّا السّبب الثّاني فهو قرب موعد صدور مذكّرات الرّاحل حيث ستكون في متناول القرّاء بمختلف مشاربهم وخلفيّاتهم، ومن هناك

ستنفتحُ أبوابٌ عريضةٌ للحوار وحتّى الجدال والنّقاش الحادّ، وستظهر الرّدود تلو الردود.

سمعتُ من يتأسّف بعض الشّيء على رحيل الرّئيس المجاهد قبل أن ترى مذكّراته النّور، ثمّ يدور حولها ما تستحقّه من الكلام في مختلف وسائل الإعلام الوطنيّة والدّوليّة، وحتّى في المجالس العامّة والخاصّة، ثمّ يتولّى الرّجلُ بنفسه الردّ على أيّ سهام قد تُصوّبُ من هذا الطّرف أو ذاك.

وعزاء الرّئيس الشّاذلي بن جديد، ومن أحبّه وقدّر فترةَ حكمه وإنجازاته، أنّ المتطوّعين للدّفاع عن مذكّراته والرّد على خصومه سيظهرون في الوقت والمكان المناسب، وستكون أعدادُهم معتبرةً جدا، لأنّ أغلب أعداء الرّجل، لسوء حظّهم، من المغضوب عليهم شعبيًّا، سواء الذّين يتمتّعون إلى الآن ببعض النّفوذ، أو أولئك الذّين لفظتهم الأيامُ وتخلّت عنهم الكراسي، وصاروا نسيًا منسيًّا لولا بعض محاولات وسائل الإعلام وما تقوم به من (خرجات) أقرب إلى أن تكون (صيحة في واد أو نفخة في رماد)..!

نعم.. لو تعرّضت مذكّراتُ الرئيس بن جديد لأيّ نوع من التّشويه أو التّشهير؛ فستتحوّلُ إلى قضيّة رأي عام، على غرار ما يحدث في قضايا إنسانيّة ووطنيّة في بعض الدّول، وذلك عندما يتطوّع عشرات المحامين، والمئات أحيانا، للدّفاع والتّرافع، ويبذلون الوقت والجهد لإظهار الحقيقة كاملة.

مذكّراتُ الرّئيس الشّاذلي سوف تخرج إلى القرّاء في ذكرى الفاتح من نوفمبر القادمة، التّي صارت قاب قوسين أو أدنى، ومن البديهيّ أنّ جلالَ الذّكرى وعظمة الرّجل سيجعلان من الكتاب حدثًا استثنائيًّا بلا منازع، ومن البديهيّ أيضا أنّ أكثر من طرف بدأ من الآن في شحذ أقلامه ونفض الغبار عن أوراقه، ليسدّدَ السّهامَ في اتّجاهها المناسب، ويصيبُ مقتلاً في معارك الذّاكرة كما وصفتها إحدى القنوات الفضائيّة..؟؟

إنّ مذكّرات الرّئيس الشّاذلي سوف تجيبُ بالتّأكيد عن أسئلة ظلّت محيّرةً فترة من الزّمن، لكنّها قد تحملُ أيضا مجموعةً من الأسئلة الجديدة سواء ما تعلّق بالثّغرات والفراغات التّي قد تظهر بين الأحداث والوقائع لأكثر من سبب وسبب، أو تلك التّي يدركها فريقٌ من السّياسيّين والباحثين، وحتّى بقيّة القرّاء، بين السّطور.

لتستمرَّ سيمفونيّةُ الحياة الجزائريّة المعاصرة سنين أخرى، وتتواصلُ تلك السّلسلة الطّويلة من الأسئلة والأجوبة المتوالدة بعضها من بعض.

لقد شاعت في الأوساط الإعلاميّة، خلال السّنوات الماضيّة، أحاديث عن تأخير متعمّد لمذكّرات الرّئيس الشّاذلي بن جديد، وكانت أصابعُ الاتّهام تشيرُ تلميحًا لا تصريحًا إلى شخصيّات وجهات نافذة لا يعجبها العجب ولا الصّوم في رجب كما يقال، لأنّها لم تكتف بالإساءة للوطن وثوابته ونهب خيراته، بل حاولت فرضَ صومٍ صارمٍ ودائمٍ عن الكلام الذّي يُفترضُ أنه صار مباحًا بعد هذه السّنين الطويلة من (استقالة) الرّئيس الشاذلي، ودخول الجزائر في منعطفات حادّة صَبَغَهَا اللَونُ الأحمرُ في الغالب.

تَكَلَّمْ لِأَرَاك.

قولٌ يُنسب للفيلسوف والمعلّم اليونانيّ الشهّير سُقْرَاط الذّي يعدّ من الشّخصيّات العالميّة التّي نالت الإعجابَ لأنّه صرفَ حياتَه للبحث عن الحقيقة والخير.

نعم تكلّموا لِنَرَاكُم، أو اكْتُبُوا لِيَعْرِفَكُم النّاس.

وهاهو الرّئيس ابن جديد يقدّمُ نفسه للنّاس ليروه، مع أنّهم رأوه على مدار ثلاثة عشر عاما رئيسا نشيطا ومتواضعًا وقريبا من النّاس.

يا من حاولتم عرقلةَ مسار مذكّرات الرّئيس الشّاذلي وعملتم على تأخير صدورها، ويا من تتحسّسون من القلم والقرطاس:

اكْتُبُوا أَنْتُمْ لِنَرَاكُم.

لماذا تختفون كالخفافيش ولا تظهرون إلاّ في الظّلام..

اكتبوا ودافعوا عن آرائكم ومواقفكم وأفكاركم وإنجازاتكم، إن كانت لكم إنجازات تُذْكَر في موازين الشّعوب والأوطان..؟؟

لتكن مذكّرات الشّاذلي بن جديد فرصةً ذهبيةً يبادرُ بعدها كلّ من يهمّه الأمر إلى إخراج ما في جعبته لينشره بين النّاس إن كان مكتوبا، أو يشرع في الكتابة فورا، أو يظهر في وسائل الإعلام بمختلف ألوانها ومشاربها.

والمؤكّد أنّ الجزائر هي المستفيدة من هذه (العُكَاظِيَّة) السّياسيّة والتّاريخية، حيث يروي الباحثون عن الحقيقة عطشَهم الذّي طال

أمده، ويتقلّصُ مخزونُ الأسئلة المتراكمة التّي كدنا نصدّقُ أنّ الأجوبةَ لن تجد طريقا إليها.

وبصبر وجهود الطيّبين والمخلصين ستدخلُ الجزائر في ما يمكن تسميته بحوارات الذّاكرة... بدل حروب الذّاكرة.

2012-10-13

نُوفَمْبَر.. الْهُرُوبُ إِلَى الْمَاضِي

قبل عام تقريبا، وقبيل تدشين الميترو من طرف رئيس الجمهوريّة، تقدّمَ أحدُ المكاتب البلدية لمنظّمة أبناء المجاهدين باقتراحٍ أو دعوةٍ لبرمجة أناشيد وطنيّة بشكلٍ دائمٍ في محطّات الميترو الممتدّ من البريد المركزيّ بقلب العاصمة إلى حيّ البدر.. الهدفُ واضحٌ من هذا الاقتراح وهو المساهمةُ في تقوية الرّوح الوطنيّة لدى ركّاب قطار الأنفاق وربطهم بالوطن أكثر وأكثر.

لا أدري إن كـان هـذا الاقـتراحُ قـد وصـلَ إلى الإدارة المعنيّـة ووضعته على طاولة النّقاش، أم أنّه تحوّلَ إلى خبرٍ قديمٍ بعـد يـومين أو ثلاثة من نشره على صفحات إحدى الجرائد الوطنيّة..؟

لكنّ المؤكدَ أنني في المـرّات القليلـة التّـي ركبـتُ فيهـا الميـترو لم أسمع أيَّ أناشيدَ وطنيّة، وأنـا أعـبرُ المسـاحةَ الممتـدّةَ مـن شـبّاكِ بيـعِ التّذاكر إلى مكان انتظار وصولِ عربات قطار الأنفاق.

لا شكّ أنّ من بين أهداف ذلك الاقتراح هو ربط الجيل الجديـد بالماضي المجيد للثّورة، والمجاهدين والبطولات العظيمـة مـن خـلال سـماع أناشـيد وطنيّـة في حضـرة المنجـزات الكـبرى مثـل الميـترو والتّرومواي وغيرهما، وهي دعوةٌ مقدّرةٌ في زمن العولمة الـذّي يحـاولُ ربطَ الشّباب بكلّ شيء أجنبيّ بـرّاق، وسـلخه بالتّـالي مـن حضـارته وتاريخه، ليتحوّل إلى لقمةٍ سائغةٍ وصيدٍ سهلٍ لكلّ نـاعقٍ مـن الشّـرق أو الغرب.

العودة إلى فكرة الأناشيد الوطنيّة في محطات الميـترو بـرزت مـن ثنايا ذاكرتي وأنا أقرأُ عن التّرومواي، القطار الكهربائيّ، وكيف فعلـت به أمطارٌ، ليست غزيرة جدا، الأفاعيلَ وجعلتْ منـه أشـبهَ بالغوّاصـة

على حدّ تعبير مسؤولٍ كبيرٍ اعترفَ بأخطاءٍ في الإنجاز أو تقصيرٍ في صيانة قنوات صرفِ مياه الأمطار.

لا أدري لعلّ من المناسب الحديث عن فوائد أخرى للأمطار التّي اجتاحت العاصمةَ ومناطقَ أخرى من البلاد، وتزامنت مع الذّكرى الثامنة والخمسين لاندلاع ثورة نوفمبر المجيدة، كما تزامنت أيضا مع الإعصار المدمّر، ساندي، الذّي ضرب السّواحل الشّرقيّة للولايات المتّحدة الأمريكيّة وخلّف دمارا كبيرا، لكنّه ليس بذلك الحجم المتوقّع لو ضرب الإعصارَ نفسَه دولةً أخرى لا تحسنُ الاستعدادَ للكوارث والاستفادةَ من الإمكانيات الماديّة والمخترعات العلميّة.

الفوائد الأخرى هي الحقيقةُ التّي يحاولُ البعضُ الهربَ منها وتأجيلها من حين إلى آخر، وتحويل المسؤولية عن كشفها إلى أجيال قادمة، ومن ثمّ تزول أيّ مبرّرات لتحرير فواتير حسابات العقود الماضية، وتُقيّدُ جميعُ القضايا العالقة والكوارث ضدّ مجهولين ربّما نزلوا علينا عبر صحون طائرة من كواكب تبعد عن الأرض بملايين السّنين الضوئية، واقترفوا الجرائم التّي نرى آثارها على الأرض والإنسان، ثم فرّوا عبر صحونهم الطّائرة مرّة أخرى دون أن يتركوا أيّ أثر ماديّ أو معنويّ..!!!

الحقيقة المرّة التّي نحاول الهروبَ منها إلى الماضي المجيد هي هذه الحصيلة التّي لا تتناسب مع مساحة الوطن وثرواته وموقعه وعدد سكّانه.. حصيلةٌ غير مقنعة في السّياسة والاقتصاد والاجتماع والتّربية والتّعليم، حتّى لو حاولنا إقناعَ أنفسنا، قبل غيرنا، بأرقام كبيرة وإنجازات ضخمة على شاكلة أطول جسر أو نفق، وطريق سيّار، ومليون سكن، وجامعة وإذاعة جهوية في كلّ ولاية من ولايات الوطن..؟؟

ما جدوى الحديث عن الماضي وحده دون فاتورة حساب 50 عامًا منذ رحلَ المستعمرُ الفرنسيّ.. فاتورة حقيقيّة وليست مضخّمة كما يحدث في بعض المشاريع العامّة والمشتريات والحفلات وغيرها، حيث يَغرفُ النَّهِمُون من الأموال العموميّة دون رقيب أو حسيب..؟؟

الأمر المؤسف أنّ بعضَ صانعي القرار في بلادنا ربّما اعتقدوا أنّ التّراكمات والأخطاء الحالقة ستغادرُ الذّاكرةَ الشَعبيّةَ يوما بفعل عامل الزّمن، كما يحدث مع الجرائم عندما يسقطها القانون بالتّقادم...

لكنّ الحقيقة أنّ الأمر مثل كرة الثّلج التّي تكبر باستمرار حتّى تتحوّل إلى جبل جليديّ يشكّل خطرا على ما حوله، لأنّه قد ينهارُ في

أيّ لحظة، أو يتعرّضُ للذّوبان بفعل ارتفاع درجات الحرارة فيسبّبُ فيضاناتٍ تهدّدُ مدنًا وقرًى كانت آمنة.

دعونا نفترضُ أنّ فاتورة حساب العقود الماضية على ما يرام، أو ليس في الإمكان أفضل ممّا كان على الأقل.

ودعونا نقبلُ المعاذيرَ ونتفهّم المبرّرات ونصبرُ على مرارة بلع وهضم الأسباب التّي جعلتنا أقلّ من غيرنا في مجالات عديدة، ومن هناك يجوزُ لنا الحديثُ عن الماضي والعودة إلى الأمجاد برؤوس مرفوعة وهامات شامخة.

لكن... المأساة أنّ الحديثَ عن الماضي أيضا في المناسبات الوطنيّة الكبيرة لم يعد مقنعًا بما فيه الكفاية، بعد أن حَادَ عن تحقيق الأهداف الكبرى في هذا المضمار..!!

إنّنا شعب له مطالب واضحة، وقضيّته عادلة، فقد كان يعيشُ في أمان الله وحفظه على الضّفة الجنوبيّة للبحر الأبيض المتوسّط، وإذا بأساطيل وجيوش جرّارة تغزوه من الضّفة الشّماليّة، وتعيثُ في أرضه فسادا وتقتيلا وتجهيلا، وتخرجُ هذه الجيوش بعد قرن وثلث قرن

مجبرةً بعد أن حاولت عبر جميع الوسائل والأساليب إلحاقَ هذا الجزء من الجنوب بالشّمال ظلما وعدوانا.

إنّ الكرةَ الآن في ملعب السّاسة الجزائريّين بعد ذلك الاعتراف الفرنسيّ الجزئيّ بالجرائم الفرنسيّة في الجزائر من خلال تصريحات فرانسوا هولاند في ذكرى مجازر السّابع عشر من أكتوبر، 1961. وهاهو الرّئيس الفرنسيّ يعتزمُ زيارةَ الجزائر قبل نهاية العام الجاري، ولا شكّ أنّ بين أيدينا الكثير من الأوراق الرّابحة التّي يمكن استعمالها على طاولة اللّعب مع طرفٍ مُكَابِرٍ ومراوغ مثل فرنسا.

لسنا جشعين ولا طمّاعين.

لا نريد أكثر من اعتراف فرنسيّ بالجرائم التّي ارتكبها الجنودُ والمستوطنون الفرنسيّون خلال فترة الاستعمار، ويليه اعتذارٌ رسميّ تنبثقُ عنه سلوكيّاتٌ جديدةٌ تظهرُ من خلال التّعامل النّديّ بين الدّولتين والشّعبي.

فهل يفعلها صنّاعُ القرار في الجزائر، وأمامهم وخلفهم البرلمان والمنظّمات الجماهيريّة والمجتمع المدنيّ..؟؟؟

2012-11-03

شُكْرًا سَيّد هُولاَنْد..!!

في خبر وصول الضّيف الفرنسيّ الرّئيس فرانسوا هولاند إلى مقرّ إقامته في تلمسان قالت مذيعةُ نشرة أخبار الثّامنة، في قناتنا الوطنيّة، إنّ الاستقبالَ تمّ وفق تقاليد تلمسان العريقة، أو كلامًا مثل هذا. وانتظرتُ أن يظهرَ في السّياق شيءٌ على شاكلةِ التّمرِ والحليبِ الذّي أُستقبل به هولاند في العاصمة، لكنّ الأصواتَ والصّورَ مضت في مضمار آخر تماما.

عند مدخل المكان اصطفّ عددٌ معتبر من فتيات تلمسان بلباسهنّ التّقليديّ الأصيل، وكان الاستقبالُ الحافل للرّئيس الفرنسيّ..؟؟

وانطلقت الحناجرُ بالتّرحيب وكان التّناغمُ واضحًا بين مختلف الأصوات، فقد خضع الجميعُ لتدريب لا بأس به. وظهرَ السّخاءُ (التّلمسانيّ) والضّيافة العريقة عندما بدأ النّشيدُ بالفرنسيّة ومطلعه (صباح الخير سيّدي الرئيس). ويستمرّ التّكريمُ والاحتفاءُ بالضيف من خلال جامعة بوبكر بلقايد بتلمسان، عاصمة الزّيّانيّين، حيث يتحدّثُ الرّجلُ أمام جمعٍ كبيرٍ هناك وتدوّيّ القاعةُ بالتّصفيق، ويستلمُ الضّيفُ شهادةَ الدّكتوراه الفخريّة.

كرمُ الاستقبال الجزائريّ ظهرَ جليًّا في العاصمة قبل تلمسان عندما اصطفّت الجموعُ على جانبيْ الطّريق الذّي مرّ عبره الرّئيس هولاند، وصافحت الأيادي الضّيفَ ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وحيّته النّساءُ من الشّرفات بالزّغاريد وكان عيدًا حقيقيًّا لأهل العاصمة، أو هذا ما بدا لنا من تقارير التّلفزيون على الأقلّ..؟!

ويوقّعُ الضّيفُ على إعلان صداقة وتعاون، ويشهدُ توقيعَ عددٍ معتبرٍ من الاتّفاقيّات الثّنائيّة بين الجزائر وفرنسا، وفي مجالات اقتصاديّة حيويّة، ويغادرُ سالمًا غانمًا بَاسِمَ الثَغر كما وصلَ على تلك الحالة من النّشوة والسّرور، أو هذا ما بدا لنا من ظاهر الصّور على الأقلّ.

وبعد كلّ ما سبق.

أتمنّى فقط أن أقابلَ الرّئيس فرانسوا هولاند لدقيقة واحد. نعم لدقيقة واحدة فقط لأنّني أدركُ قيمةَ الوقت عند سكّان الضّفة الشّمالية للمتوسط.

دقيقةٌ واحدةٌ أذكّره فيها بزيارته للجزائر، وحجم التّكريم الكبير الذّي حظي به.

ثمّ أختمُ كلامي بالقول: حرامٌ عليك يا رجل. والله حرام عليك. كيف سنبتلعُ الإهانةَ بعد كلّ هذا الاستقبال والمغانم الاقتصاديّة والوعود الرّسميّة السّخيّة. كيف تصرُّ إلى آخر لحظة على التّجاهل عندما تختارُ كلماتٍ عامّة وعائمة، وتتحدّثُ عن مأساةٍ

وحربٍ هكذا دون تحديد، وكأنَّ فترةَ الاستعمار الفرنسيّ للجزائر كانت معركةً متكافئةً بين جيشين ودولتين، ولم تكن إبادةً منظّمةً أكلت الأخضر واليابس في حينها، وظلّت تنخرُ كياننا سنين طويلة امتدت إلى ما بعد الاستقلال..!!

لكنّ ما جدوى هذه الثّرثرة، وما الفائدة المرجوة من المقابلة لو تحقّقت فعلا..؟

نعم لا فائدة على الإطلاق لأنّ الرّجلَ، ومن على شاكلته، لا يفهمُ لغة (حرام) التّي نستعملها نحن في أدبيّاتنا وثقافة مجتمعنا. سوف يبتسمُ في أحسن الأحوال لأنّه أدّى مهمّته على أكمل وجه، ونجحَ فيما جاء من أجله مائة في المائة، وحافظَ في الوقت ذاته على مشاعر شعبه فقد وصل إلى الجزائر وعينه، أو عيون مستشاريه وأركان حكومته، على آخر استطلاعات الرّأي في الشّارع، التّي أعلنت أنّ النّسبة الأكبر من الشّعب الفرنسيّ تتجاهلُ حقّ الجزائريّين في الحصول على اعترافٍ بالجرائم التّي ارتكبها الاستعمارُ، ومن ثمّ الاعتذار عنها..!!

نعم.. لقد جاء الرّجلُ من أجل أهدافٍ اقتصاديّةٍ واضحة المعالم أثناء التّوقيع عليها، وواضحة النّتائج أيضا بعد سريان العمل بها، وهكذا ينبغي لأمثالي من (السّذّج) أن يستيقظوا من سباتهم العميق، ويدركوا أنّ مراسم الاستقبال والتّكريم والشّهادات الفخريّة والهدايا لا تعني شيئا لهولاند وأعوانه، لأنّ مربطَ الفرس عندهم في اقتصادنا ومجالات الاستثمار عندنا ومواطن الرّبح والأسواق.

لقد خطا الرّجلُ خطوةً جريئة، أو هكذا بدت لنا، عندما اعترفَ بالمجازر التّي ارتكبتها فرنسا الاستعماريّة في حقّ الجزائريّين الذّين خرجوا للتّظاهر بشكل سلمي في باريس بتاريخ السّابع عشر من أكتوبر عام واحد وستّين من القرن الميلاديّ الماضي، وربّما سَرَحَ بنا الخيالُ في آفاق مرحلة قادمة يتقدّمُ فيها هولاند خطوات أخرى، ويطوي ملفّ القضيّة عندما يعترفُ بجرائم الاستعمار ويعتذرُ عنها باسم الجمهوريّة الفرنسيّة.

ومرّت الأيّامُ وبدأ العدّ التّنازليّ للزّيارة التّاريخيّة، وكيف لا تكون كذلك وقد تزامنت مع احتفال الجزائر بالذّكرى الخمسين للاستقلال. وتبخّرت الآمالُ بعد أن ظلّت المؤشّراتُ العامّةُ الصادرة

عن قصر الإليزيه في منأى عن مصطلحات الاعتراف والاعتذار وما شابهها، فضلا عن التّعويض.

وعودة إلى تلك الدّقيقة التّي تمنّيت الحصولَ عليها من وقت هولاند، لأعْدِلَ عن رأيي..؟

فبدلا من (حرام عليك يا رجل) سوف أقول: (شكرا يا رجل).. نعم شكرا لك أيّها السّيّد الفرنسيّ النّبيل الذّي يدركُ أهميّةَ الحفاظ على مصالح بلاده، ويستميتُ في الدّفاع عنها والتّمكين لها.. شكرا لك لأنّك علّمتنا درسًا في احترام إرادة الملايين من مواطنيك الذّين يرفضون الاعترافَ والاعتذارَ للجزائريّين عن فترة الاستعمار.

يقول الشّاعر:

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سِوَانا

وعلى هذا المنوال يمكنُ القول إنّنا قد نعيبُ ضيوفنا والعيب فينا.

وقد ظهرت العيوبُ في تلك التّصريحات التّي أحالت ملفَّ الذَاكرة إلى التّاريخ وحده، أو تلك التّي أبعدت الشّبهة عن الجزائر

الرّسميّة في أيّ طلب للاعتراف والاعتذار.. والحمد لله الذّي لا يُحمد على مكروه سواه..!!

عزاؤنا فقط فيما حدث ويحدث أنّ ذاكرةَ شعوب الشّرق طويلة، على عكس ما عند الغرب، وهكذا نتذكّرُ التّاريخَ بتفاصيله، ونتألّمُ حتّى الآن لأحداثٍ مرّت عليها قرون عديدة.

والشّعبُ الجزائريّ جزءٌ من الشّرق الكبير في ثقافته وقِيَمِه، ولن يُصابَ بفقدانٍ جماعيّ للذّاكرة..

ولن تتحوّلَ الدّماءُ التّي سالت إلى ماء.

وسيأتي اليومُ الذّي تتغيّرُ فيه المعادلات، الرّاهنة ويتحقّقُ المأمولُ في الاعتراف والاعتذار وحتّى التّعويض.

2012-12-23

قَلْعَةُ الأَسْرَار.. إِلَى مَتَى.؟؟

يُقال إنَّ السرَّ إذا تجاوزَ الاثنين شاع.. ويبالغُ البعضُ فيوصي بأن يظلَّ السرُّ دفيناً بين ثنايا صدرك، فبمجرّد خروجه إلى غيرك سوف تفقدُ السّيطرةَ عليه. ولتأكيد الاحتفاظ بالسرّ يقول المرءُ لمن استأمنه على سرّه: إنّه في بئر. كما يستعملُ البعضُ تعبيرًا مستوحى من عالم البناء، فيقول لصاحب السرّ: سرّك في مأمن فقد بنيتُ عليه بالإسمنت المسلّح.

السرُّ والأسرارُ من أهمّ خصائص عالَم السّياسة والسّياسيّين، خاصّة إذا تعلّق الأمرُ بممارسة السّياسة من الطّريق (الأوسخ) المليء بالكواليس والمؤامرات والخطط غير البريئة والكمائن والمصائد، وكلّ ما يحمله قاموسُ اللّغة العربيّة وغيرها من اللّغات في هذا السّياق..!

والأسرارُ السّياسيّةُ الشّفويّةُ قد تظلُّ على حالها إلى وقت متوسّط أو طويل، وقد تتحوّلُ إلى ألغازٍ محيّرة، أمّا الأسرارُ الموثّقةُ رسميًّا فقد تجدُ طريقَها إلى أيادي الباحثين والمهتمّين بعد انتهاء الوقت المخصّص لحظرها.

وهكذا تفرجُ الحكوماتُ عن أسرارٍ ووثائقَ ومحاضرَ واتفاقيّاتٍ كانت سرّية في وقت ما، ثمّ تودعها ضمن الأرشيف الوطنيّ العام، ويحدثُ هذا غالبا في الدّول التّي قطعت أشواطًا طويلةً على طريق الممارسة الدّيمقراطيّة.

والحديثُ عن أسرار السّياسة مستساغٌ هذه الأيّام في الجزائر، بل مطلوب، لأنّنا نتابعُ ولادةَ أسرارٍ جديدةٍ في الوقت الذّي تتواصلُ معاناة الباحثين والمؤرّخين الجزائريّين وهم يخوضون في بعض زوايا

التّاريخ القريب للجزائر، خاصّة فترة الثّورة التّحريريّة الكبرى والسّنوات الأولى للاستقلال.

وإن كانوا في المقابل قد تنفّسوا الصّعداء، بعض الشّيء، من خلال المذكّرات الشّخصيّة التّي بدأت تظهرُ تباعا في المشهد السّياسيّ الجزائريّ، أو المقابلات الصّحفية والتّسجيلات والوثائق المُفرج عنها.

هذه السّنة مشحونة بكثير من الأسرار سواء ما تعلّق بمرض رئيس الجمهوريّة ورحلة العلاج والعودة، أو التّحضير للانتخابات أو التّرتيبات الرّئاسية القادمة، أو خفايا سوناطراك الأولى والثّانية وما تبعها من توجيه الاتّهام لوزير الطّاقة والمناجم السّابق شكيب خليل، وهو اتّهام لشخصه في الظّاهر، لكنّ أمورا أخرى، بين السّطور، قد تستقرّ في خانة الأسرار حتّى حين..؟؟

إنّنا قاب قوسين أو أدنى من بوّابة دخول خدمات الجيل الثّالث من الهواتف النّقالة، تلك الخدمة التّي ستوفّرُ تدفّقا عاليا للإنترنت عبر الهاتف الشّخصيّ لكلّ مواطن، وعندها يسهلُ تداولُ المعلومات وتبادلها بحجم سيفوق ما نراه الآن بعشرات المرّات..!

فلينتبه صنّاعُ الأسرار ويتحرّروا من أوهام الماضي، فنحن في عصرٍ يعرفُ إعلاما جماهيريًّا جديدًا تتقلّصُ فيه المسافةُ يوما بعد يوم بين الصّحفيّ المحترف والمواطن العاديّ الذّي وجد نفسه صحفيًّا بشكل من الأشكال، مع انتشار وسهولة استعمال التّقنيات الحديثة في عالم الاتّصال.

الكلامُ موجّهٌ للسّياسيّين وصنّاع القرار الذّين يملكون قدرا من الوعي بأهميّة التّاريخ وسيفه المسلّط باستمرار علينا، أمّا الذّين لا يكترثون للتّاريخ:

فقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي

وأقصدُ بهم ذلك النّفر من السّياسيّين والمسؤولين الذّين لا يفكّرون أبعد من حدود جيوبهم وبطونهم، وإذا تحرّكَ الفكرُ بهم بعيدا فلن يتخطّى البنوكَ الدّوليّةَ التّي تقبلُ إيداعَ واستثمارَ أموال مشبوهة، والدّول التّي تبيحُ شراء العقار ومن ثمّ الاستقرار لأصحاب الأموال والسّياسيّين الفاسدين الهاربين من شعوبهم وحكوماتهم..!

إنّ الذّين يكدّسون الأسرار، كما يكدّسون الأموال، واهمون لأنّ الموازين والقواعد التّي كانت تحكم بلادنا منذ ثلاثين سنة فقط قد بدأت في التّغيّر التّدريجيّ، وهكذا لن يغني بعد اليوم إلاّ الصّدق والشّفافيّة ومصارحة الشّعب بكلّ شيء، وعندها سينتشرُ الأمنُ والأمانُ وتعودُ الثّقةُ بين المواطن والمسؤول.

وقد أدرك غيرُنا خطورةَ هذا الأمر قبل فترة طويلة، حيث قال الرّئيس الأمريكيّ السّادس عشر أبراهام لنكولن: "دعوا النّاس يتعرّفوا على الحقائق، وعندئذٍ ستكونُ البلادُ آمنة".

إنّ أسرارَ مراحل ليست بعيدة من تاريخ الجزائر قد بدأت في الظّهور منذ سنوات، ومن خلال الذّين صنعوا بعض فصولها أو كانوا في الخطّ الموالي لدائرة صناعة القرار الأولى.

وإن ظلَّ هذا الظّهور في حاجةٍ إلى المزيد، أو كان في الشّكل أكثر من المضمون، أو جنح إلى التّلميح بدل التّصريح؛ فإنّه مؤشّرٌ قويٌّ على أنّ قلعة الأسرار لن تظلَّ حصينة إلى الأبد.

وفي هذا السّياق أحبُّ دائما مراجعة وتصفّح كتاب "الجزائر، الحلم والكابوس" للدّكتور محي الدّين عميمور، مع أنّ الكتابَ، في طبعته الثّانية، بين أدراج مكتبتي منذ سنوات، وربّما قرأتُ بعضَ مواضيعه عدّة مرّات.

وهذا الكتابُ في أصله مقالات متفرّقة للكاتب، الطّبيب والإعلاميّ والدّبلوماسي والسّياسيّ، كانت مفرّقة عبر صحف جزائريّة وعربيّة، وقد كتب بعضها في أشدّ أيّام التّسعينيات سوداويّة من النّاحية الأمنيّة والسّياسيّة..

وقد عبرّت كلماتُ الكاتب فعلاً عن الحلم والكابوس في جزائر الاستقلال، باعتبار الكابوس حلما مزعجا، وباعتباره أيضا مسدّسا كما هو في اللّهجة الجزائريّة..؟؟

كما زاد من أهميّة الكتاب عددٌ من المداخل التّي قدمّ بها الكاتبُ لكلّ فصلٍ يحوي مجموعةَ مقالات متقاربة، وأكثر من ذلك تلك الهوامش التّفسيريّة لبعض مواطن الغموض أو التّلميحات التّي ربّما لجأَ إليها الدّكتور عميمور مضطرا، فمجرّد الكتابة عن موضوعات محدّدة في سنوات الدّم والنّار قد تكون مغامرةً مجهولة العواقب..؟

وسوف أكتفي بمثالين فقط من الكتاب، الأوّل جاء ضمن مقال "أكتوبر يتآمر على نوفمبر"، وفيه: "وخلال الولاية الثّانية للرّئيس بن جديد كان وزراء كثيرون لا يلتقون بالرّئيس رغم صدور بلاغات عن استقبال الرّئيس لهم وتلقّيه تقريرا عن مهامهم"، والمثال الثّاني جاء في أوّل هامش بمدخل الفصل الثّاني، وفيه: "قلتُ لوزير الدّاخلية في تلك المرحلة بأنّه يتحمّلُ أمام التّاريخ مسؤولية تلك المعتقلات، وصعقتُ عندما قال لي بأنّه قرأَ قرار إنشاء المعتقلات، الصّادر باسمه، في الصّحف مثل ما قرأناه نحن تماما"..؟؟!!

2013-10-20

خَاتِمَة

وأخيرا...

لأنّ الحديثَ في هذا الكتاب عن ثورتنا العظيمة وذاكرتنا الجَمعيّة، فما أحسن مغادرة هذه الصّفحات بهذا الاقتباس من كلمات وحروف أحد صنّاع المشهد الجزائريّ قبل الاستقلال وبعده.

إنّه الرّئيس الشّاذلي بن جديد.. (1929-2012). الرّئيس الثّالث للجزائر المستقلّة (1979-1992).

يقول الرّئيس الرّاحل:

لقد احتضنتني ثورةُ التّحرير بكلّ ما فَتَحَتْهُ أمامي من آمال وأحلام، وجعلت منّي إنسانًا واعيًا باختياراته، مُدرِكًا لمسؤوليّاته، متبنّيًّا لمصير بلده ومستقبل شعبه. واحتضنتُ أنا بدوري هذه الثّورة

بكلّ زخمها وأخطائها. وهل توجدُ ثورة في تاريخ الانسانيّة معصومة من الخطأ؟ سؤالٌ أوجّهه إلى أصحاب الأصوات النّاشزة التّي لا ترى في تاريخ ثورتنا التّحريريّة – لأسباب سياسيّة واضحة – إلاّ الأخطاء.. داعيا إيّاهم إلى الالتفات قليلا إلى الأخطاء المماثلة في حركات التّحرر والحركات الاجتماعيّة التّي عرفَها العالَمُ المعاصر، بما فيها الثّورة الفرنسيّة نفسَها، لندركَ أنّ الثّورات هي إخفاقٌ وانتصار، أملٌ وخيبة أمل، وأنّ تحقيقها لأهدافها يبرّرُ الأخطاءَ التّي تحدثُ في مسارها. هكذا كانت ثورتنا التّحريريّة، فرغم ما أُرْتُكِبَ باسمها من أخطاء جسيمة إلّا أنّها حقّقت آمالَ شعبنا في الانعتاق والعيش في كنف الكرامة والأمان.

مذّكرات الشّاذلي بن جديد، ، الجزء الأوّل (ملامح حياة):
1929 – 1979، تحرير: عبد العزيز بوباكير،
دار القصبة للنّشر، سبتمبر 2012

وعند قوله: (وأنّ تحقيقها لأهدافها يبرّرُ الأخطاءَ التّي تحدثُ في مسارها).

نقول للرّئيس الرّاحل وهو في دار الحقّ: معذرة.. ربّما كان الأفضلُ أن نتفهّمَ الظّروفَ والملابسات التّي أدّت إلى تلك الأخطاء الجسيمة دون الحاجة إلى تبريرها.

نعم.. لا حاجة لأيّ شكل من أشكال التّبرير.

لكنّ المؤكّدَ أنّ المتأمّلَ في مسار ثورة التّحرير المجيدة سيدركُ بسهولة ويسر بيئة الثّورة وتلك الظّروف الصّعبة جدًّا والملابسات ومآسي الحرب وتَرِكَات ليالي الاحتلال الطّويلة، ودسائسه وأياديه الأخطبوطيّة.. فهو باختصار، أي فرنسا، دولة لها مؤسّساتها وأذرعها الأمنيّة والسّياسيّة والثّقافيّة والماليّة والاقتصاديّة..

وبالتّالي لن نستغرب الأخطاء، وحتّى الخطايا، التّي عرفتها ثورةُ نوفمبر. وقد أوردَ الرّئيس الشّاذلي بعضَها في الجزء الأوّل من مذكّراته.

والرّجُلَ من صنّاع الذّاكرة الوطنيّة مجاهدًا في الميدان ولاعبًا أساسيًّا في أحداث الأشهر الأولى الحاسمة والخطيرة بعد الاستقلال، وأيضا عبر مذكّراته التّي ننتظرُ الجزءَ الثّاني منها حيث الحديث عن

رئاسته للجمهوريّة بعد وفاة الرّئيس هواري بومدين رحمه الله، ثمّ استقالته مطلع عام 1992 ودخول البلاد في تلك العشريّة الحمراء ومآسيها ومفارقاتها وألغازها التّي قدّمت أجوبةً بشكل ما عن بعض تساؤلات ما حدثَ في السّنوات الأخيرة للثّورة.

الجزء الثّاني قد يجيبُ عن أسئلة ويقدّمُ حلولاً لألغازٍ محيّرة ربّما ظنّ صنّاعُها أنّهم أغلقوا على أجوبتها صناديقَ فولاذيّة، ثمّ قذفوها في أعماق البحر..؟؟

نعم.. الرّئيس الشّاذلي بن جديد من صنّاع الذّاكرة الوطنيّة الحيّة عندما قرّر التّضحيةَ بمنصب الرّئاسة وامتيازاتها ومغرياتها، والابتعاد عن المشهد حتّى لا يكتب التّاريخُ عنه أنّه وقفَ ضدّ إرادة الشّعب.. مهما قِيل عن تلك الإرادة..؟؟

نعم.. مهما قِيل فهي إرادة شعب في ظروف وملابسات تعكسُ نتائجَ لمقدّماتٍ تراكمتْ على مدى سنوات الاستقلال، وقبل الاستقلال.

وحتّى إذا لم يقدّم الجزء الثّاني من المذّكرات أيَّ إجابات حاسمة عن التّساؤلات والألغاز المدفونة طوال العقود الماضية؛ فعدم الجواب هو إجابة صريحة بأنّ (دار لقمان ما زالت على حالها).. وأنّ على الأجيال الصّاعدة تلمّس طريقَها نحو الحقيقة.. كلّ الحقيقة.

الفهرس

إهداء..... 5

مقدّمة..... 7

قَرَارٌ مُتَأَخِّرٌ جِدًّا جِدّا..... 13

بَأَيِّ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيد..... 19

ثَوْرَتُنَا الْعَظِيمَةُ وَذَاكِرَةُ الْجِيلِ الصَّاعِد..... 25

إِرْحَمُونَا يَرْحَمُكُم الله..... 31

المُبَارَيَاتُ مُسْتَمِرَّةٌ سَعَادَةَ السَّفِير..... 37

تَحَدَّثُوا ولاَ تَخَافُوا عَلَى ثَوْرَةِ نُوفَمْبَر..... 43

أُلْقُوا بِهَا إِلَى الشَّعْب..... 49

حُلُمُ الجَمَاهِيرِ الجَزَائِرِيَّة..... 55

المُخَازِنُ بِخَيْرٍ سَيّد كُوشْنِير..... 62

فُرْصَةٌ تَارِيخِيَّة..... 68

الرَّدُّ بِالمِثْلِ.. أَضْعَفُ الإِيمَان..... 74

بَعْدَ نُوفَمْبَر.. عامُ المُحَاكِمِ الشَّعْبِيَّة..... 80

لَحْظَةُ تَأَمُّل..... 87

ذِكْرَى (الخَمْسِين) التّي لاَ تُرِيدُهَا فَرَنْسَا..... 94

حِوَارَاتُ الذَّاكِرَة.. اكْتُبْ لِأَرَاك..!!..... 100

نُوفَمْبَر.. الهُرُوبُ إِلَى المَاضِي..... 107

شُكْرًا سَيّد هُولاَنْد..!!..... 113

قَلْعَةُ الأَسْرَار.. إِلَى مَتَى.؟؟..... 120

خَاتِمَة..... 127

صَدَرَ للمؤلّف

- قضايا عربيّة
- قضايا دوليّة
- 2010 خواطر سياسيّة
- دَنْدَنَات ثَوْرِيّة
- قضايا سُوفيّة
- الفرعونيّة.. تجليّات مُعَاصِرة
- دَنْدَنَات في الإحساس والتّفاؤل والتّغيير
- دَنْدَنَات ديمقراطيّة
- ذكريات ومواقف

IINNOCENT SKIRMISHES

NATIONAL AFFAIRS: ESSAYS ON THE REVOLUTION AND OUR COLLECTIVE MEMORY

BY

TAHIR AMARA LADGHEM

First edition 2022

جسور
للنشر والتوزيع

Djoussour
Publishing & Distributing
Algiers / Algeria

Tahir Amara Ladghem

National Affairs: Essays on the revolution and our collective memory

غَادَرَ الاستعمارُ الفرنسيُّ الجزائرَ مُرْغَمًا بعد تضحيّاتٍ كبيرةٍ أبهرتِ العالَمَ، خاصّة خلال السّنوات الأخيرة حين كانت ثورةُ نوفمبر المجيدة تصنعُ العناوين الأولى في وسائل الإعلام الإقليميّة والعالميّة، وتشغلُ حيزًا من أحاديث النّاس في مجتمعاتٍ شقيقةٍ وصديقة، وحتّى في تلك الدّول الحليفة للمستعمر، بل في فرنسا نفسها، وعلى طول مدنها وقراها وأريافها..

خرجَ المحتلُّ ومرّت السّنواتُ تلو السّنوات وظلّت قضايا الذّاكرة والتّاريخ تصنعُ الجدلَ من حين لآخر.. وسَاهَم في هذا الجدل غيابُ قراراتٍ محوريّةٍ تأخّرَ الحسمُ فيها عجزًا أو خوفًا أو قصدًا...

ISBN:978-9931-729-13-6

9 789931 729136

جسور للنشر والتوزيع
حي المندرين قطعة 69 محل رقم 4
– الحمدية – الجزائر
هاتف–فاكس: 213-023-750-162
الجوال: 0661-21-21-22
البريد الإلكتروني: joussour_edition@yahoo.fr
الموقع الإلكتروني: www.joussourdz.com